





قصة

قيس بن الملوّح العامري
المعروف بمجنون ليلى

طبعت بنفقة

الخواجات ابرهيم صادر واولاده

اصحاب المكتبة العمومية في بيروت

سنة ١٨٨٧ مسيحية موافقة لسنة ١٣٠٤ هجرية

بسم الله الواحد الاحد

الحمد لله الذي جعل سير الاولين عبرة للاخرين · والصلوة والسلام على الانبيا والمرسلين · اما بعد فهذه قصة الشاب الاديب والشاعر اللبيب سلطان العشاق · وراس اهل الهوى على الاطلاق · مجنون ليلى الذى ضربت فيهِ الامثال · وتحدثت بهِ النساء والرجال · واذ كانت سيرتهُ من اعجب السير والطفها · واجملها رونقًا واظرفها · وذلك لِما فيها من الاشعار الفايقة · والمعاني البديعة الرايقة · والتشبيهات والاوصاف · والغزل المنطوي على خلوص النية والعفاف · جمعنا ما قدرنا عليهِ من حديثه واخباره · ونوادره ونفايس اشعاره · التى فاقت برقتها على ماء الدموع الجارية · وتنافست الناس بالتقاطها ولو بقرطي مارية · فنقول وبالله المستعان

انهُ كان في زمن خلافة عبد الملك بن مروان رجلٌ من اهل المفاخر واصحاب المناصب والمآثر · يقال لهُ الملوّح بن مزاحم وكان من سادات بني عامر ولهُ من الاولاد الذكور · ثلثة انفار كانهم البدور وكلٌ بالادب مذكور ومشهور · منهم قيس وهو صاحب هذه السيرة · الذي اشتهر بالعشق وحسن السريرة وكان اصغر اخوته عمراً · واعلاهم همةً وارفعهم قدراً · وافصحهم كلاماً واجودهم نظماً ونثراً · واعلمهم بالادب · واخبار العرب وكان مع هذه الاوصاف جميل المنظر · عالي الهمة لطيف المحضر · فصيح الكلام · طويل القوام · كانهُ البدر التمام · حافظاً زمام الاحتشام · قد نُطق بالشعر وهو ابن سبعة اعوام وكان اعزّ اخوته عند ابيه · نظراً لاوصافه وحسن مساعيه · لانهُ كان قد حاز جميع الصفات البديعة · والاخلاق الكريمة الوديعة · وصاحبته هي ليلى بنت مهدي تتصل بنسبه في كعب بن ربيعة وكنيتها ام مالك بدليل قوله

تكاد بلاد الله يا امّ مالكٍ ❋ بما رحبت يوماً عليَّ تضيقُ

وكانت سمرا اللون قصيرة القامة · فصيحة الكلام وعلى خدها اليمين شامة وكان سبب عشقهِ لها انهُ ركب يوماً على ناقة لهُ وخرج من الحي على سبيل النزهة والتسيير · وعليهِ حلتان من الديباج والحرير · فاقبل على بعض الغدران · فوجد عليهِ جماعة من البنات والنسوان · فحياهنَّ بالسلام · وتكلم معهنَّ بافصح كلام · فاعجبهنَّ غاية الاعجاب · واستدعينه للحديث والخطاب وكانت ليلى من جملتهنَّ · فنزل وجلس معهنَّ · وجعل يحادثهنَّ · ويقلب طرفه عليهنَّ · حتى وقعت عينيه على ليلى فافتتن بها واندهش · وخفق فؤاده

وارتعش . وقال لها هل عندكنَّ شيئًا من الطعام . قالت لا يا ابن الكرام فعمد الى الناقة فنحرها واضرم النار . واخذ يشاغلها بالحديث والاخبار ومناشدة الاشعار . وهو شاخص فيها دون باقي النساء . ثم قال لها اتاكلين الشواءُ . قالت نعم . ايها السيد المحترم . فطرح الناقة على الجمر في الحال . وقد اعتراه الخبال . وتضعضعت منهُ الاحوال . من شدة الوجد والبلبال . فقالت لهُ ليلى . انظر الى اللحم هل استوى ام لا . فتقدم الى الجمر وقبضهُ بكلتا يديه وسقط على وجه الارض مغشيًا عليه . فاكل الجمر لحم راحتيه فلما راتهُ على تلك الحالة مدت اليهِ ذراعها وشدى يده بهدب قناعها . وعلمت انهُ قد غرق في بحر هواها . وقد اشتهاها وتمناَّها . فتغير لون وجهها من شدة الحياءَ واقام . قيس معهنَّ كل ذلك اليوم الى المساءَ . ثم ذهب وهو على غير الاستوا . من تباريح الوجد والهوى . فلما جنَّ عليهِ الليل اخذهُ الافتكار . وصرف ليلهُ بالبكا ومناشدة الاشعار . فمن ذلك قولهُ

نهاري نهار الناس حتى اذا بدى * لي الليل هزتني اليك المضاجعُ

اقضيّ نهاري بالحديث وبالمني * ويجمعني الليل الذي الهمَّ جامعُ

اذا مرَّ يومٌ من حياتى ولا ارى * خيالكِ ياليلى فعمري ضايعُ

تضيقُ عليَّ الارض حتى كانني * من الصبر في سجن فما انا صانعُ

قال الراوي فلما كان ثاني الايام . استدعتهُ للمنادمة والكلام . وقد داخلها الحب والغرام . لانها كانت مغرمة باحاديث الناس واشعارها وكان هو عارفًا بايام العرب واخبارها فتمكنت بينهما المحبة والموادة .

حتى لم يعد يستطيع على فراقها ساعة واحدة · هذا هو المشهور في كيفية عشقهما حسب ما ذكرناهُ · وزعم البعض ان سبب وقوع الهوى بينهما خلاف ما اوردناهُ · وهو انهما كانا قد انتشيا صغيرين يرعيان الغنم بدليل قولهِ

تعشقت ليلى وهي غرٌّ صغيرةٌ * ولم يبدُ للاتراب من ثديها حجمُ
صغيرين نرعى البهم ياليت اننا * الى الان لم نكبر ولم تكبر البهمُ

فتحابا ومضى على ذلك برهة · وهما باطيب عيش ونزهة · ثم حجبت عنهُ كما سياتي الخبر · وجرى عليهِ ما لم يجرَ على قلب بشر · وعلى كلا الحالتين عرف كلٌّ منهما ما عند الاخر · وكان قيس يذهب في كل يوم الى ابياتها فيقف حتى يراها · فيشكو اليها ما عندهُ من حبها وهواها · ولم يكن لهُ داب الا البكاء والانتحاب · ومناشدة الاشعار في الليل والنهار · واقام اياما لا يلذ لهُ حال · ولا ينعم لهُ بال · حتى اعتراهُ السقام · من شدة الوجد والغرام

قال الراوي فلما كان ذات يوم سالها قيس امراً من الامور · لينظر هل لهُ في قلبها مثل الذي لها في قلبهِ فمنعتهُ حاجتهُ واظهرت النفور · وكان قصدها بذلك امتحان الصحبة · لترى ما عندهُ من المحبة · فقال لها قد اخلفتِ العهود · على خلاف الامل المعهود · ثم اصفرَّ لون وجههِ وتغير · وكاد ان يتفطر · وانشد يقول

مضى زمنٌ والناس يستشفعون بي * فهل لي الى ليلى الغداة شفيعُ
يضعفني حبكِ حتى كانني * من الاهل والمال التليد نزيعُ

اذا ما نهاني العاذلون بحبها * ابت كبدي مما اجنّ تطيعُ
وكيف اطيع العاذلون وحبها * يؤرّقني والعاذلون هجوعُ

فلما سمعت شعرهُ بكت من فواد متبول · وانشدت تقول

كلانا مظهرٌ للناس بغضاً * وكلٌ عند صاحبهِ مكينُ
واسرار الملاحظ ليس تخفى * وحبك في فوادي لايبينُ
وكيف يفوت هذا الناس شيءٌ * وما في الناس تظهرهُ العيونُ
فطب نفسًا بذاك وقرّ عينًا * فان هواك في قلبي معين

فعند ما سمع مقالها خرَّ مغشيًا عليهِ من شدة الوجد والبلبال · ولما افاق انشد وقال

احبك حباً لو تحبين مثلهُ * اصابكِ من وجدٍ عليَّ جنونُ
حليفٌ مع الغزلان اما نهارهُ * فحزنٌ واما ليلهُ فانينُ
فيا نفس صبرًا لاتكوني لجوجةً * فما قد قضى الرحمن فهو يكونُ

وصارت المحبة تنعقد كل يوم عقداً مجدداً · ويزداد كلٌ منهما في الآخر محبة وتودداً واتفق ان اباهُ طرقهُ ضيوف ليلا · فارسلهُ ليقترض لهُ سمنًا من عند ابي ليلى · فقال ابو ليلى ياليلى اخرجي ذلك النحي واقضي حاجة هذا الفتى · ودعيهِ يذهب من حيث اتى · فخرجت بالجرة اليهِ · وسلمت عليهِ · وصارت تسكب السمن في اناه · وهي تشكو ما لهُ عندها من الشوق الى رؤياه · وانها تحبهُ وتهواه · ولا تميل الى احدٍ سواه · فلما سمع كلامها طاب قلبهُ · وزال غمهُ وكربهُ · هذا وقد التهيا بالحديث مع بعضهما البعض ·

حتى امتلأ الاناء وصار السمن يقطر على الارض · وما زالا يتحادثان · نحو ساعة من الزمان الى ان غرقت ارجلها بالسمن وهما لا يعلمان · وكان اباها · قد استبطاها · فصاح عليها وناداها · فلم تنتبه اليه · ولا ردت عليه فخرج ليكشف الخبر وقد انكر امرها · فوجدها على تلك الحالة المقدم ذكرها · فاستعظم ذلك الامر · وطار من عينيهِ شرار الجمر · ثم منعهُ الزيارة في الليل والنهار · وحجبها عنهُ خوفًا من الفضيحة والعار · فكان يغتنم غفلة الرقيب · ويجتمع بها فيطفي ما بقلبهِ من نار اللهيب · فلما بلغهُ ذلك شكاهُ الى الخليفة مروان · واعلمهُ بذلك الشان · فكتب الى عاملهِ الذي كان واليًا على القوم · يامرهُ بقتلهِ اذا هو زارها بعد ذلك اليوم · فلما قرأوا عليهِ ذلك الكتاب · ووقف على حقيقة الخطاب · تنهد وتحسر · وتنغص عيشهُ وتمرمر · وانشد يقول

لئن حجبت ليلى وآلى اميرها * عليَّ يمينًا جاهداً لا ازورها
على غير شيء غير اني احبها * وان فوادى عند ليلى سميرها

ولما آيس من زيارتها اخذهُ القلق والوسواس · حتى اشرف على زوال عقلهِ وصار مثلاً بين الناس · فاقبل عليهِ ابوهُ وبنو عمهِ واخوانه · ومن يلوز بهِ من اهلهِ وخلانه · وقالوا لهُ ياقيس اتقِ الله واعرض عن هذه الجارية واسلاها · واعلم ان دمت على هذه الحال اتلفت مهجتك في هواها · ونساء العرب كثيرات · وفيهن من تضاهي البدور الزاهرات · فنخب من هي احسن منها · وانك في غنى عنها · فقد هتكت حالك بين الاهل

والخلان · وصرفت وقتك بالشقاء والحرمان · وصرت مثلاً بين قبايل العربان · فلما الحوا عليهِ بالكلام · قال دعوني ياقوم من العتب والملام · فاني لااختار امراة عليها · ولا اميل الا اليها · ثم تنهد من فواد متبول وانشد يقول

تقول العدا لابارك الله في العدا * لقد قصر عن ليلى و رثت رسائله
فلواصبحت ليلى تدب على العصا * لكان هوى ليلى جديداً اوائله

فعند ذلك ساروا جميعًا واتوا ابا ليلى وحدثوهُ بالقصة · واعلموهُ بما وقع في قلب قيس من الغصة · وسالوهُ القرابة واقسموا عليهِ باسم الله · ان يعطيها اياه · واخبروهُ بالحالة التي هو فيها · ودفعوا لهُ في مهرها مائة ناقة براعيها · فابى ولم يقبل · وقال هذا داءٌ مشكل وامر معضل · ما فعلهُ احد غيري سابقًا · ولا تركت العرب تقول اني زوجت عاشقًا

قال الراوي وكانت العرب تكره ان تزوج احداً شاع ذكرهُ بالعشق لامراة يحبها · لانهم يقولون انهُ مازفَّ اليها الابعد ان فتك بها · فلما بلغ قيس ذلك المقال اشتد بهِ الوجد والبلبال · فانشد وقال

الايها الشيخ الذي ما بنا يرضى * شقيت ولاهنيت من عيشك الخفضا
شقيت كما اشقيتني وتركتني * اهيم مع الهلاك لم اذق الغمضا
اما والذي ابلى بليلى بليتي * واصفى لليلى من مودتيَ المحضا
لابتغين فيها رضاءي ومنيتي * ولواكثر والومي ولواكثروا القرضا
فكم ذاكرٌ ليلى يعيش بكربةٍ * فينغض قلبي حين يذكرها نغضا

كان فوادي في مخالب طائر * اذا ذكرت ليلى يشد بها قبضا
كان فجاج الارض حلقة خاتمٍ * عليَّ فما تزداد طولاً ولا عرضا
وان رمت صبراَ او سلواً بغيرها * رايت جميع الناس من دونها بعضا

قال الراوي فلما سمع ابوه هذه الابيات ضاق صدره من اجلهِ غاية الضيق . واشتد بقلبهِ اللهيب والحريق . وقال ان ضرب السيف ووقع السنان . اهون من الذل والهوان . ثم ان ابا ليلى بعد ذلك الخبر . ارتحل بمالهِ واهلهِ الى مكان آخر . وكان قيس في اكثر الاحيان . يقصد ذلك المكان . الى ان اجتمع بها في بعض الايام . فجعل يخاطبها بالطف خطاب وارقّ كلام . ويشكو اليها ما يجدهُ من مكابدة العشق والغرام . وكيف انهُ رفض الطعام . وهجر المنام . ثم جعل يرشُّ التراب على راسهِ وقدميهِ . الى ان وقع مغشيًا عليهِ . فتقدمت ورشت لهُ الماء وقبلتهِ بين عينيهِ . فلما افاق انشد وقال

الا ايها القلب اللجوج المعذلُ * افق عن طلاب الغيد ان كنت تعقلُ
افق قد افاق العاشقون وانما * تماديك في ليلى ضلالٌ مضللُ
تعزَّ بصبرٍ واستعن بجلالهِ * فصبرك فيما لا يدانيك اجملُ
سلا كلُّ ذي ودٍّ علمت مكانهُ * وانت بليلى مستهامٌ موكلُ
فقال فوادي ما احترمت ملامةً * اليك ولكن انت باللوم تعجلُ
اعلل نفسي بالحديث وبالمنى * فعلَّ الى ايام ليلى تعللُ
لحى الله من باع الخليل بغيرهِ * فقلت اجل حاشاك ان كنت تفعل

وقلت لهــا بالله ياليلَ انني * ابرُّ واوفي بالعهود واوصــلُ
هبي انني اذنبت ذنبًا علمتهُ * ولا ذنب ياليلى فصفحكِ اجمل
فان شئتِ هاتي نازعيني خصومةً * وان شئتِ حلمًا ان حلمك اعدل
نهاري نهارٌ طال حتى مللتهُ * وحزني اذا ما جنني الليل اطولُ
وكنت كذبَّاح العصافير ذائبًا * وعيناه من وجدٍ عليهن تهمل
فلا تنظري ليلى الى العين وانظري * الى الكفِّ ماذا بالعصافير تعملُ

قال الراوي فلما فرغ من شعرهِ اغرورقت عيناه بالدموع . وتحسر من فواد موجوع . فاومت اليهِ ان يختفي لئلا يراه احد . فانقلب راجعًا وهو يبكي ويتنهد . ولما عظم عليهِ الحال . انشد وقال

انا الوامق المظلوم والله ناصري * ومنتقمي ممن يجور ويظلمُ
انا الوامق المشغوف والهائم الذي * اراعي الثريا والخليون نوَّمُ
اظلُّ بحزنٍ مــا ابيت وحسرةٍ * واشرب كاسًا فيهِ صابٌ وعلقمُ
فحتى مَ ياليلى فــوادي معذبٌ * بروحي تقضي ما تحبُّ وتحكمُ
اليس عجيبًا ان نكون ببلدةٍ * كلانا بهــا باقٍ ولا نتكلمُ
لعلكِ ان ترثي لصبٍ متيمٍ * فمثلك ياليلى يرقُّ ويرحمُ
صريع من الحب المبرَّح والهوى * واي فتىً من علة الحبِّ يسلمُ
بكى ليَ ياليلى الفواد وانــهُ * ليبكي بما يلقى الفواد ويكتمُ
لعمرك مــا لاقي جميل معمرٌ * كوجدي بليلى لا ولم يلقَ مسلمُ
صبا يوسفٌ واستشعر الحب قلبهُ * ولا كاد داودٌ من الحب يسلمُ

وبشرٌ وهندٌ ثم سعدٌ وعروةٌ * وثوبة اضنـــاهُ الهوى المتقسمٌ
وهاروت لاقى من جوى الحب علة * وماروت فاجاهُ البلاء المصممُ
ولم يخلُ منهُ المصطفى سيد الورى * ابو القاسم الذاكي النبيُّ المكرَّمُ
ابيت صريع الحب دامٍ من الهوى * ودمعي على جسمي يموج ويسجمُ
ولولا طروق الليل اودت بنفسهِ * منعمةً باللحظ تبري وتسقمُ
اعارتهُ انفاس الصبـابة صبوةً * لها بين جنبيهِ سعيرٌ مضرمُ
اذا هي زادت في النوى زاد في الهوى * فلا قلبهُ يسلو ولا هي ترحمُ
الا ان قلب الصب عما يجنهُ * وان لم يبحْ يومًا بـهِ متكلمُ
لسانيَ عيٌّ في الهوى وهو ناطقٌ * ودمعي فصيحٌ بالهوى وهو اعجمُ
وكيف يطيق الصب كتمان حبهِ * وهل يكتم الوجد امرؤٌ وهو مغرمُ

قال الراوي واقام قيس بعد ذلك ايامًا وهو يكابد الم الفراق . ونـار الوجد والاشواق . لا يتكلم بكلام . ولا يلتذ بطعام . فلما قلَّ منهُ الاصطبار . وعدم القرار . ركب ناقتهُ وصار . طالبًا زيارة ليلى في ذلك المكان . فوجد الحي خاليًا من السكان ليس يسمع فيهِ صوت انسان . سوى صياح البوم ونعيق الغربان . فجعل ينظر الى مواقد النيران . ويتامل في تقلبات الزمان . فعند ذلك زادت نارهُ استعارًا . لما راى دار ليلى قفارًا . فبكى بكاء مرًّا . وانشد من كبدٍ حرَّى

الا يا ظباء الحيّ اين ترحلـوا * وساروا بليلى والكواكب طلعُ
ديارٌ لليلى بالخصب اقفرت * عرصاتها في سائر الدهر بلقعِ

ينوح عليها الطير في جنباتها * فطيرٌ يبكيها وطيرٌ يسجعُ
فامرض قلبي حبها وطلابها * فيا للعدا من صبوةٍ كيف اصنعُ
أاتبع ليلى حيث راحت وخيمت * وما الناس الآ آلفٌ ومودّعُ
فان يكُ جسماني بارض بعيدةٍ * فان فوادي عندكِ الدهر راجعُ
الا تتقين الله في قتل عاشقٍ * لهُ كبدٌ حرَّى عليكِ تقطعُ
غريبٌ مشوقٌ مولعٌ بديارِكم * وكل غريب الدار بالشوق مولعُ
فاصبحت ما اوقع الدهر موجعًا * وكنت لريب الدهر لا اتضعضعُ
قنعت بلحظٍ منكِ ليلى وانما * ينال المنى من كان باللحظ يقنعُ
ابيت بروحاء الطريق كانني * اخو خيلٍ اوصالهُ تتقطعُ

قال الراوي فبينما هو على تلك الحال . واذا هو براعي يرعى غنمهُ في تلك التلال فقصده حتى وصل اليهِ . فسلم عليهِ . وسالهُ عن اخبار القوم . فقال لهُ رحلوا الى جبل نوباد في صباح ذلك اليوم . فسار وهو منزعج الفواد . حتى اقبل على جبل نوباد . وكان ذلك الوقت في آخر النهار . فوجدهُ خاليًا من الرجال ليس فيهِ الاَّ النساء والبنات الابكار . وبلغ ليلى قدومهُ من بعض الجوار . فداخلها الفرح والاستبشار . فخرجت الى ملتقاه وهي لا تصدق ان تراه . ولما وصلت اليه . سلمت عليه . فابتهج وانشرح . وكاد يطير من الفرح . واخذ كل واحد منهما يشكو ما هو فيهِ من الم الفراق والهوى . وتباريح الوجد والجوى . ثم قالت لهُ في آخر الكلام . كيف كان صبرك عني يا قيس في هذهِ الايام . فقال لها والله يا منية

القلب · والروح التي بين الجنب · ليس لي عنك صبر ولا سلوان وقد اقلقني الوجد والهيمان · من كثرة الافكار · وسهر الليل والنهار · حتى لم يبق لي هدوء ولا اصطبار · ولا اقمت في مكان وقرّ لي فيه قرار · وما تركت زيارتكِ الا خوفًا عليك من الاعداء اللئام · الذين ليس لهم عهد ولا ذمام · فان بزيارتكِ تخلي همومي · وتنقضي غمومي · وينشرح صدري وتصفو مرآة فكري · ثم بكا بدمع هطال · وانشد وقال

ايا ليلى زند البين يقدح في صدري * ونار الاسى ترمي فوادي بالجمرِ
فلا تحسبي يا ليلَ اني نسيتكم * فان مدى الايام ذكرك في فكري
فوالله لا انساكِ ما هبت الصبا * وما نعق الغربان في وضح الفجرِ
وما لاح نجمٌ في السماء وما بكت * مطوقةٌ شوقًا على فنن السدرِ
وما طلعت شمسٌ لدى كل شارقٍ * وما هطلت عينٌ على واضح النهرِ
فاقسم لا انساك ما ذرَّ كوكبٌ * وما خب آلٌ في ملمعةٍ قفرِ

فلما سمعت منهُ هذه الابيات بكت وتنهدت · وضمتهُ الى صدرها وانشدت

ولمّا اردت الصبر عنك فعاقني * حلولٌ بقلبي من هواك قديمُ
وينفي جفاك النوم مع كل لذةٍ * ويقلقني ذكراك وهو عظيمُ

قال الراوي ثم ودعها بعد ذلك وسار خوفًا من قدوم الرجال · وفي رجوعهِ الى اهلهِ انشد وقال

حلا ذكر الاحبة في فوادي * فهمت من الغرام بكل وادِ

وقد باحت باسراري دموعي * وجفني قد جفا طيب الرقادِ
وكم ناديت بين خيام ليلى * وكم في حبها مثلي ينادي
انا المضنى فجودي لي بوصلٍ * فقد زاد السقام الى السهادِ
وكم اجريت يوم البين دمعاً * على الخدين كالسحب الغوادي
فما احلى التهتك في حماها * حماها الله من كيد الاعادي
عسى بالوصل احظى قبل موتي * وافرح باللقا بعد البعادِ

وقال ايضاً

اذا نظرت نحوي تكلم طرفها * فجاوبها طرفي ونحن سكوتُ
ولو خلط السم المذاب بريقها * وأُسقيت منهُ نهلةً لبريتُ

وقال ايضاً

ولو شهدتني حين تحضر منيتي * جلا سكرات الموت عني كلامها
فيا ليتنا نحيي جميعاً وان نمت * تجاور في الهلكي عظامي عظامها

قال الراوي وجد قيس في قطع الطريق . وهو مسرور بذلك التوفيق . حتى اقبل الى الديار . وفي قلبهِ من الشوق لهيب النار . فلما دخل الى الخيام . قدمت لهُ امهُ شيئاً من الطعام . فابى ولم ياكل ولا عرفت عينهُ المنام . بل قضى ليلهُ في البكاء والنواح . الى ان بدت غرة الصباح . فلما راه ابوهُ على تلك الحال . وقد تغيرّ جسمهُ واعتراه الهزال رثى لحالهِ . وخاف من انزعاج باله . وقال لهُ ياولدي . ومهجة كبدي . ارجع عن هذا الامر واقبل النصيحة . وقد هتكت نفسك وصرت مثلاً

بين الورى · واحدوثة لكل من يسمع ويرى · فكم قد نصحنك وانت لم تسمع · واردك فلم ترجع · وكل ذلك لاجل جارية من بنات العرب · وهي دونك في الحسب والنسب · وانا اشير عليك الان · ان لا تعد تذكرها في شفة ولا لسان · فان حديثك قد شاع بين جميع العربان · واشتهر في كل مكان · فاذكر الله وتب اليه · مما انت عليه · فلما سمع من ابيه ذلك الخطاب · تغلب عليهِ الحزن والاكتئاب · وقال لهُ كلما حدثتني بهذا الكلام · ازداد بي العشق والغرام · ثم هاجت بهِ الاشواق · وغلبت عليهِ غصة الفراق · فبكا وانتحب · وفاض دمعهُ وانسكب · واشتعل قلبهُ والتهب · وانشد يقول

وكم قائلٍ لي اسلُ عنها بغيرها * وذلك من قول الوشاة عجيبُ

فقلت وعيني تستهلُّ دموعها * وقلبي باكناف الحبيب يذوبُ

لئن كان لي قلبٌ يهيم بذكرها * وقلبٌ باخرى انها لقلوبُ

فياليلَ جودي بالوصال فانني * بحبلكِ رهنٌ والفواد كئيبُ

فلا تتركي نفسي شعاعا فانها * من الوجد قد كادت عليكِ تذوب

واني من الوجد المبرَّح سورةً * لها بين جلدي والعظام دبيبُ

واني لاستحييك حتى كانما * عليَّ بظهر الغيب منكِ رقيبُ

قال الراوي فبكا اهلهُ · رحمة لهُ · وطلبوا من الله · ان يعافيهُ مما ابتلاه · فلما سمع كلامهم تنفس الصعداء وتنهد · واشار اليهم وانشد

لقد لامني في حب ليلى قرابتي * ابي وابن عمي وابن خالي وخاليا

يقولون ليلى اهل بيت عداوةٍ * بنفسي ليلى من عدوٍّ وماليا
ارى اهل ليلى لا يريدون بيعها * بشيءٍ ولا اهلي يريدونها ليا
فليت نسيم الريح ادّى تحيتي * اليها وما قد حل بي ودهانيا
فيا عجبًا ممن يلوم على الهوى * فتىً دنفًا امسى من الصبر عاريا
وهيهات ان اسلو من الوجد والهوى * وهذا قميصي من جوى الحزن باليا
معذبتي لولاك ما كنت هايمًا * ابيت سخين العين حيران باكيا
ابيت ضجيع الهمّ ما اطعم الكرى * أُنادي الهي قد لقيت الدواهيا
بساحرة العينين كالشمس وجهها * يضيءُ سناهُ في الدجى متساميا
خليليّ مدَّا لي فراشي وارفعا * وسادي لعل النوم يذهب مابيا
وان متُّ من داء الصبابة بلغا * شبيهة ضوء الشمس مني سلاميا

وقال ايضًا

ما بال قلبك يامجنون قد هلعا * في عشق من لاترى في وصلها طمعا
يقول صحبي ودمع العين منحدرٌ * سيلاً على الخد هطالاً ومندفعا
لما البكاء ولم يسمع بمنزلةٍ * هذا البكاء لصبٍ موجعٍ فجعا
فقلت كفوا فان القلب ويحكم * لوكان من صخرةٍ صماء لانصدعا
طوبى لمن انتِ ياليلى قرينتهُ * لقد نفى الله عنهُ الهم والوجعا
فما قرأت كتابًا منكِ يبلغني * الاّ ترقرق دمع العين واندفعا
ادعو الى هجرها قلبي فيتبعني * حتى اذا قلت هذا صادقٌ نزعا
لا يستطيع نزوعًا عن مودتها * او يصنع الوجد فيها غيرما صنعا

كم من وفيٍّ لها قد كنت اتبعهُ * ولو صحا القلب عنها كان لي تبعا
تزيدني كلفًا في الحب ان منعت * احب شيءٍ الى الانسان ما منعا
وهاتفٍ من فنون الايك ازعجني * بصوتهِ في ظلام الليل حين دعا
كأنَّ عينيهِ من حسن احمرارها * فصاًن من حجر الياقوت قد قطعا
يدعو حمامتهُ والطير قد هجعت * والله ما هجعت عينٌ وما هجعا
كانهُ راهبٌ في راس صومعةٍ * يتلو الزبور ونجم الصبح قد طلعا
او قسُّ ديرٍ تلى مزمارهُ سحرًا * مازال مذ كان طفلاً يسكن البيعا
فالريح تخفضهُ حينًا وترفعهُ * قد كان يخفضها طورًا ويرتفعا
فقلت ياطير ما هذا البكاء وقد * قل العزاء وابدى القلب ماجزعا
ان طرت طار معي كي لايفارقني * وان اراد وقوعًا قلبهُ وقعا
وقد دعاني بهِ ريب المنون فلم * ترجع اليَّ وكل الطير قد رجعا
وكل الفٍ يبكيّ الف صاحبهِ * عند الفراق بوجدٍ قط ما فجعا
وكنت ابكي ونار الوجد تقلقني * حتى رايت عمود الصبح قد سطعا
فالحمد لله ابكاني واضحكني * والحمد لله شكرانًا لما صنعا
احفظ صديقك لا تقطع مودتهُ * لابارك الله في من خان او قطعا
ان المنازل تبني بعد ما خربت * وليس يوصل راسٌ بعد ماقطعا
ازرع جميلاً ولو في غير موضعهِ * فلا يضيع جميلٌ اينما زرعا

وقال ايضًا

ولو ان ما بي بالحصى فلق الحصى * وبالريح لم يسمع لهنَّ هبوبُ

ولو ان ما بي بالجبال لهدَّمت * وكادت جلاميد الصخور تذوبُ
تذكرني ليلى على بعد دارها * وليلى قتولٌ للرجال خلوبُ
فويلي على العذّال لا يتركونني * بغمي اما في العاذلين لبيبُ
فان عشت لا ابغي سواكِ وان امت * فما موت مثلي في هواكِ عجيبُ
ولو انني استغفر الله كلما * ذكرتكِ لم تكتب عليَّ ذنوبُ
فدومي على ودي فلست بزائلٍ * على العهد منكم ما اقام عسيبُ

قال الراوي وما زال قيس على مثل ذلك الشان . برهة من الزمان . وهو يكابد الوجد والهيمان . وقد تغلبت عليهِ الهموم والاحزان . وكان كثيرًا ما يجول في الفلوات . ويندب ندب الثاكلات . ويمرُّ بين اشجار الغضا . ويتوغل في الفلا والفضا . حتى صار في حالة الذل والويل من كثرة البكاء وسهر الليل . واتفق انهُ مرَّ يومًا في بعض الكثبان . فرأى رجلاً قد نصب شركًا لصيد الغزلان . فدنا منهُ وحياه بالسلام . وقال لهُ هل عندك شيءٌ من الطعام . فقال انني بعيد عن الديار . مسافة نصف نهار . وقد نصبت اشراكي في هذه الربى . فاصبر قليلاً واطرد عليَّ الظبى . فان اصطدنا بلغنا المراد . وسدينا رمق الفواد . لان لي نحو يومين ما استطعمت بزاد . فبينما هو عندهُ اذ وقع بالشرك ظبية فوثب قيس اليها . وقبلها بين عينيها . ثم اطلقها واشار يقول

ايا شبه ليلى لا تراعي فانني * لك اليوم من دون الوحوش صديق
ويا شبه ليلى لا تزالي بروضةٍ * عليها سحابٌ هاطلٌ وبروقُ

ويا شبه ليلى لو توقفتِ ساعةً * لعلَّ فوادى من جواهُ يفيقُ
اقول وقد اطلقتها من وثاقها * فانتِ لليلى ان شكوتِ طليقُ
فعيناكِ عيناها وجيدك جيدها * سوى ان عظم الساق منكِ رقيق
تكاد بلاد الله ياام مالكٍ * بما رحبت يومًا عليَّ تضيقُ
تتوق اليك النفس ثم اردها * حياءً ومثلي بالحياء خليقُ
ولو تعلمين الغيب ايقنتِ انني * حبيبٌ واني للحبيب مشوقُ
اروم سلوَّ النفس عنك ومالها * الى احدٍ الا اليكِ طريقُ

فاستشاط الصياد غضبًا وتغيرت منهُ الاحوال . واعتراهُ الانذهال وقال ياهذا ماهذا الفعال . التي لم يسبقك اليها احد من الجهال . فقد منَّ الله علينا بما كنا نتمناه . فاحرمتنا اياه . فقال لهُ قيس وقد اشتد بهِ جواه وعظم مصابهُ وبلاه . لاتلمني فان عينها تشبه عيني من اهواه . ثم تركهُ وسار . يجول في تلك القفار . واذا بهِ يرى . ظبية اخرى . فاسرع نحوها وقبض عليها . ومسح التراب عن وجهها وقرنيها . وبعد ذلك اطلقها وانشد يقول

اذهبي في حراسة الرحمانِ * انتِ مني في ذمةٍ وامانِ
لاتخافي ولا تخافي بسوءٍ * ما تغنىَّ الحمام في الاغصانِ

وقال ايضًا

اقول لظبيٍ مرَّ بي وهو راتعٌ * أانت اخو ليلى فقال يقالُ
اياشبه ليلى ان ليلى مريضةٌ * وانت صحيحٌ انَّ ذا لمحالُ

قال الراوي وكانت ليلى قد مرضت مرضاً شديدا فلما بلغهُ الخبر خفق فواده وتكدر. واخذهُ القلق والضجر. وانشد يقول

يقولون ليلى بالعراق مريضةٌ * فمالك لا تضنى وانت صديقُ
سقى الله مرضى بالعراق فانني * على كل مرضى بالعراق شفوق
فان تكُ ليلى بالعراق مريضةٌ * فانيَ في بحر الغرام غريقُ
اهيم باقطار البلاد وعرضها * ومالي الى ليلى الغداة طريقُ
كان فوادي فيهِ نارٌ تقادحت * وفيهِ لهيبٌ ساطعٌ وبروقُ
اذا ذكرتهُ النفس ماتت صبابةً * لها زفرةٌ قتاَّلهٌ وشهيقُ
سبتني شمسٌ يخجل الشمس نورها * ويكسف ضوءُ البدر وهو شريق
غرابية الفرعين بدرية النسا * ومنظرها بادي الجمال انيقُ
وقد صرت مجنوناً من الحبّ هائماً * كانيَ عانٍ في القيود وثيقُ
برى حبها جسمي وقلبي ومهجتي * فلم يبقَ الّا اعظمٌ وعروقُ
فلا تعذلوا بل ان هلكت ترحموا * عليَّ ففقد النفس ليس يعوقُ
وخطوا على قبري اذا مت اسطراً * قتيل لحاظٍ مات وهو عشيقُ
الى الله اشكوما الاقي من الهوى * بليلى ففي قلبي جوىً وحريقُ

وقال ايضاً

الاان ليلى بالعراق مريضةٌ * وانت خليُّ البال تهنو وترقدُ
فلو كنت يامجنون تضنى من الهوى * لبتَّ كما بات السليم المسهدُ

قال الراوي ومرَّ رجلٌ ذات يوم بليلى وهي واقفة في باب خباها.

وهي قد تعافت من عياها . فقالت له ياهذا الى اين سائر . فقال الى ديار بني عامر . فتنهدت وبكت . وأنّت واشتكت . وانشدت تقول

يا ايها الراكب المرجى مطيتهُ * عرّج ليذهب عني بعض ما اجدُ
فما راى الناس من وجدٍ تضمنهم * الاّ ووجدي بقيسٍ فوق ما وجدوا
اهوى رضاهُ واني في مودتهِ * وودهِ آخر الايام اجتهدُ

فشفق الرجل عليها . وتقدم اليها . وقال لها حياكِ الله ياحرة العرب . هل لكِ من طلب . قالت ان كنت من اهل المروة . وكرم الاخلاق والفتوة . تعمل معي هذا المعروف . وتجبر كسر قلبي الملهوف . وهو انك متى وصلت الى تلك المعالم . تستدلُّ على ابيات قيس بن الملوّح بن مزاحم . فمتى اجتمعت بهِ اقرهِ مني كثير السلام . وقل لهُ ان ابنة عمك ليلى قد اضناها السقام . من شدة الوجد والغرام . وهي لا تلتذ بطعام . ولا تذوق اجفانها المنام . وقد صارت مثلا بين النساء . في سائر الانحاء . ثم كتبت له رقعة ضمنتها هذه الابيات

وانت الذي اخلفتني ما وعدتني * واشمتَّ بي من كان فيك يلومُ
وابرزتني للناس ثم تركتني * لهم عرضًا ارمى وانت سليمُ
فلو ان قولاً يكلم الجسم قد بدا * بجسمي من قول الوشاة كلومُ

فسار الرجل طالبًا حيّ بني عامر حتى وصل اليهِ . واستدل على قيس فدلوهُ عليهِ . فحيّاهُ بالسلام . وحدثهُ بما قالتهُ له ليلى على التمام . فلما سمع قيس شعر ليلى انَّ انين الثكلى . ثم تنهد من فؤاد متبول . وكتب

اليها مع ذلك الرجل يقول

وانتِ التي كلفتني دلجَ السرى * واحدثتِ قرح القلب فهو كليمُ
وانتِ التي قطعت قلبي صبابةً * ورقرقت دمع العين وهو سجيمُ
وانتِ التي اغضبت قومي فكلهم * بعيد الرضى داني القطوف كظيمُ

ثم خرج يجول ويدور في نواحي ذلك الوطا · اذ مر بهِ سرب من القطا · فلما راهُ انشد يقول

شكوت الى سرب القطا اذ مررن بي * فقلت ومثلي بالبكاء جديرُ
اسرب القطا هل من معير جناحهُ * لعلي الى من قد هويت اطيرُ
وايُّ قطاةٍ لم تعرني جناحها * فعاشت بضرٍّ والجناح كسيرُ
والاَّ فمن هذا يؤدي رسالتي * فاشكرهُ ان المحب شكورُ
الى الله اشكو صبوتي بعد كربتي * ونيران شوقٍ ما لهنَّ فتورُ
فان لم امت هماً وغماً وكربةً * يعاودني بعد الزفير زفيرُ
اذا جلسوا في مجلس نذروا دمي * فكيف تراها عند ذاك تجيرُ
ودون دمي هزُّ الرماح كانها * توقد جمرٍ ثاقبٍ وسعيرُ
ارى النوم ياتي دون ليلى كانما * اتى دون ليلى حجةٌ وشهورُ
ففكي اسيراً مستهاماً فانهُ * الى ذاك منكم فارحميهِ فقيرُ
طوت أُمُّ عمروٍ ركبها بعد هجعةٍ * وبان افتراقي والذين ازورُ
وحالت جبال البعد بيني وبينها * وهيهات مقصوص الجناح يطيرُ
قطعن الحصى والرمل حتى تقلقلت * قلائد في اعناقها وظفورُ

سواءٌ أمَّ عمرو هل ينوِّل عاشقٌ * اخو سقمٍ ام هل يفكُّ أسيرُ
الأقل لليلى هل تراها مجيرتي * فاني لها في ما لديَّ مجير
ظللت بحزنٍ ان تغنت حمامةٌ * من الورق مطراب العشيِّ بكور
نمت حين ذرَّ الشرق ثم ترنمت * وارّقني نوحٌ لها وهديرُ
ايذهب عقلي بعد حلمي وقد علا * عذاريَ من لون الشباب قتيرُ
ومستجهلي بعد التحلم نسوةٌ * اشار بليلى نحوهنَّ مشيرُ
تعوَّدن قتل الناس حتى كأنما * لهنَّ دماء المسلمين ظهورُ

قال الراوي ثم مضى على وجههِ واوسع في القفار . فبينما هو يدور اذ مرّ باطيار . يجاوب بعضها بعضاً على غصون الاشجار . فدنا منهن وانشد يقول

الايا حمامات اللوى عدنَ عودةً * فاني الى اصواتكن حنونُ
وعدنَ فلما عدن عدن لسقوتي * وكدت باسراري لهنَّ ابينُ
وعدن يفرقن الهدير كأنما * شربن مداماً او بهنّ جنونُ
فلم ترَ عيني مثلهن حمائماً * بكين فلم تدمع لهنّ عيونُ
واصبحن قد فرقن غير حمامةٍ * لها مثل نوح الثاكلات انينُ
تذكرني ليلى على بعد دارها * رواجف قلبٍ بات وهو حزينُ
فياليت ليلى بعضهنّ وليتني * اطير ودهري عندهنّ اكونُ

وقال ايضاً

اجدّي ياحمامة بطن قوٍّ * فقد هيّجت مشغوفاً حزينا

اغرّك ياحمامة بطن قوّ * باني لا انام وتهجعينـــا
واني في الشكاة اقول حقاً * وانك في شكاتك تكذبينا
واني قد برالي الحب حتى * ضنيت وما اراك تغيرينا
ولست وان جننت اشد وجداً * ولكني اسرُّ وتلعنينـــا
وبي مثل الذي بك غيراني * اكلُّ عن العقال وتعقلينا
اما والله غير قلىً وبغض * ولكن يالهُ جزعًا مبينـــا
لقد جعلت دواوين الغواني * سوى ديوان ليلى ينتحبـــا
فقدمًا كنت ارجى الخلق مني * واقدرهم على مـــا تطلبينا
الا تنسين روعاتٍ بقلبي * وعصياني عليك العاذلينا

فبينما هو على مثل ذلك اذ هبت ريح الصبا من نحو ارض نجد . فهاج بهِ الغرام والوجد . فانشد وقال

الا ياصبا نجدٍ متى هجت من نجدِ * فقد زادني مسراك وجداً على وجدي
رعى الله من نجدٍ اناسـاً احبهم * فلو نقضوا عهدي حفظت لهم ودّي
سقى الله نجداً والمقيم بارضهـــا * سحاب غوادٍ خاليات من الرعدِ
اذا هتفت ورقاء في رونق الضحى * على غصن بانٍ او غصون من الرند
بكيت كما يبكي الوليد ولم اكن * جليداً وابديت الذي ما بهِ ابدي
اذا وعدت زاد الهوى لانتظارها * وان بخلت بالوعد مت على الوعدِ
وقد زعموا ان المحب اذا دنـــا * يمل وان البعد يشفي من الوجدِ
بكلٍّ تداوينا ولم يشفَ مـــا بنا * على ان قرب الدار خير من البعد

على ان قرب الدار ليس بنافعٍ * اذا كان من تهواهُ ليس بذي عهد

ثم مرَّ بهِ غراب . فخفق فوادهُ وارتاب . وعظم عليهِ الحال . وانشد وقال

الا يا غراب البين هيجت لوعتي * فويحك خبرني بما انت تصرخُ
ابا البين من ليلى فان كنت صادقًا * فلا زال عظمٌ من جناحك يفسخ
ولا زال رامٍ قد اصابك سهمهُ * فلا انت في عشٍّ ولا انت تفرخُ
ولا زلت من عذب المياه منفرًا * ووكرك مهدومٌ وبيضك يرضخُ
فان طرت قادتك الرزايا وان تقع * تقبض ثعبانٌ بوجهك ينفخُ
وعاينت قبل الموت لحمك ثاويا * على جمر حرّ النار يشوى واطبخُ
ولا زلت في شرّ العذاب مخلدًا * وريشك منتوفٌ ولحمك يسلخُ

قال الراوي ولما جنّ عليهِ الظلام . ارتد راجعًا الى الخيام . وبات في قلق شديد . وغمٍّ ما عليهِ من مزيد . ولما كان الصباح . رجع الى ما كان عليهِ من البكاء والنواح . قال وما زال على مثل تلك الحال . حتى ضعف جسمهُ واعتلّ . وكاد عقلهُ من شدة الوسواس ان يختلّ . وبلغ ليلى الخبر . فاخذها القلق والضجر . واصفر لون وجهها وتغير . وفاض دمعها على خديها وانحدر . وواظبت على البكاء والسهر . وجرى عليها ما لم يجرَ على قلب بشر . فكتبت اليهِ . مع من تعتمد عليهِ . ايها الحبيب . والسيد الاديب . مهجة الفواد . وزينة الامجاد . من قد فاق سائر الانام . بالكمال وحسن الاختصام . وحفظ العهود والزمام . والمحبة الصالحة الخالية من

الاثام · قد بلغني ما انت فيهِ من الشوق والغرام · والوجد والهيام · ومكابدة السهر وهجران الطعام · واحتمال كلام اللوام · حتى اعتراك الهزال · وصرت ناحلاً كالخيال · وحيث الحاله هذه فاحضر في نصف هذا الليل الى وادي الاراك · وانا اوافيك الى هناك · ولو خاطرت بنفسي في هواك · فلا يساوي ذلك لذة رؤياك · وختمت كلامها بهذين البيتين

يامنيتي انت مقصودي ومطلوبي * وانت رغماً عن الاعداء محبوبي
ان تحتجب عن عيون الصب ياأملي * ما انت عن قلبي المضنى بمحجوبِ

قال الراوي ولما بلغ قيس هذه الرسالة · ووقف على فحوى تلك المقالة انشرح صدرهُ واستراح · وخفت عنهُ بعض الاتراح · وانشد وقال

تزور مريضاً اسقمتهُ بهجرهـا * ولو واصلتهُ عادلا يعرف السقما
لقد اضرمت بالقلب ناراً من الهوى * فما تركت عظماً ولا تركت لحما
واني على هجرانها وصدودهـا * وما حل بي منها ارى حبها حتما
خليليَّ كفاً لا تلوما متيمًا * ولا تقتلا صباً بلومكما ظلما

قال الراوي ثم انهُ قصد ذلك المكان · وفي قلبهِ لهيب النيران · الى ان وصل الى تلك الارض عند اقبال الظلام · فجلس وهو يتامل في الربى والاكام · الى ان انتصف الليل وعلا نجم سهيل · فعند ذلك زاد بهِ القلق · والشوق والارق · فارتعش فوادهُ وخفق · ووقع على وجه الارض وشهق · واذا بليلى قد وفت تحت ذيل الغسق · فتقدمت اليهِ · وسلمت عليهِ · وقبلتهُ في عارضهِ وبين عينيهِ فلما راها فرح واستبشر ·

وزال عنهُ الغم والضجر فنهض في الحال وجلس · وردت روحهُ اليهِ بعد ان كان على اخر نفس · لان العاشق لا يبرأُ الا بنظر الحبيب · فاذا راهُ ذهب ما بقلبهِ من اللهيب · ثم قالت لهُ قد بلغني ما انت فيهِ من الهم والحزن حتى ضعف جسمك وتغير لون وجهك بعد ذلك الحسن · وذلك كلهُ لاجلي · فلا كنت انا ولا كان اهلي · فقال لها وحق من يقول للشيء كن فيكون · انني منذ فارقتك للان لم تغمض لي جفون · بل كنت اهيم مع الوحوش في البراري والقفار · انشد الاشعار · واقتفي الاثار · والقي نفسي في المهالك والاخطار · واوصل الليل بالنهار · ولا يطيب لي عيش ولا يقرُّ لي قرار · حتى نفرت اهلي مني · وانقلبت القلوب عني · وكنت كلما ذكرتك خفق فوادي · وغاب رشادي · وتبلبل خاطري · واشتعلت سرائري · الى ان اضمحل جسمي من الهزال · وذاب من شدة الوجد والبلبال لان سلطان الهوى عنيد · وقيدهُ اشد من سلاسل الحديد · والان قد انجلت عن قلبي الكروب · وانشرح صدري برؤْيتكِ بعد ان كان متعوب · ثم غلب عليهِ جواه · وتذكر ما قاساه · فتاوَّه وتنهد · واشار اليها وانشد

فوالله لا ادري على مَ هجرتني * وايُّ امور فيك ياليلَ اركبُ
أَاقطع حبل الوصل فالموت دونهُ * واشرب كاسًا علقمًا ليس يشربُ
فلو كان لي قلبان عشت بواحدٍ * وابقيت قلبًا في هواك يعذبُ
رمتني يد الايام عن قوس محنة * فلا العيش يصفو لي ولا الموت يقرب

كعصفورة في كف طفلٍ يهينها * تقاسي نزاع الموت والطفل يلعبُ
فلا الطفل ذو عقلٍ يرقُّ لحالها * ولا الطير مطلوق الجناح فيذهب

وقال ايضًا

اجنُّ الى لثم الثغور الضواحكِ * واهوى عناق البيض لون السنابكِ
واصبو الى ذات الصبا من صبابتي * اذا لم يكن لي في الهوى من مشاركِ
ارى السمر احلى في فؤادي شمائلاً * من البيض ربات العيون الفواتك
صرمت حبال الوصل يا ام مالك * فياليت شعري ايُّ واشٍ وشى لكِ
ملكت فؤادي وامتحنت صبابتي * ومن دمّ قلبي قد خضبت بنانكِ
فلو كنت ادري ان قلبك سالمًا * من الحب ما احرقت قلبي بناركِ
ولو كنت ادري اين انت مقيمةٌ * من الارض لم يبعد عليَّ مزاركِ
فهل شاقك البرق الذي بديارنا * كما تبعت رجلاي اثر جمالكِ
الا انهُ لو كان عندك بعض ما * تحمل قلبي من هواك لذابكِ
ولي تحت ظل الايك من جانب الحمى * موافق تشكو شرح حالي وحالكِ
يسمونني مجنون عامر في الهوى * ولولا هواك كنت سيد مالكِ
حكمت فلا تطغين في دولة الهوى * والا فرقي واصنعي ما بدا لكِ

قال الراوي فلما انتهى قيس من ابياتهِ . تساقط دمعهُ على وجناتهِ . فقالت لهُ جزاك الله خيراً . ولا اراك سوءًا ولا ضيراً . ثم فاضت عيناها بالدموع . وتنفست من فؤاد موجوع . وانشدت

فلو ان ما القى وما بي من الهوى * باركان رضوى دكَّ وهو مشيدُ

تقطع من وجدٍ وذاب حديدهُ * وامسى تراهُ العين وهو عميدُ
ثلاثون يومًا كل يومٍ وليلة * اموت واحيى ان ذا لشديدُ

قال الراوي ثم انها حدثتهُ بحالها . وما اصابها من اجلهِ ونالها . وكيف خاطرت بنفسها محبة فيهِ . وانها تحبهُ وتشتهيهِ . قال وما زال قيس يحادث ليلى ويلتذ منها بالنظر . الى ان مضى وقت السحر . ولاح ضوء النهار وظهر . فعند ذلك ودعتهُ ورجعت على الاثر خوفًا من ان يراها احد من البشر . ورجع هو يطلب اطلالهُ والديار . وفي قلبهِ من اجلها لواعج النار . وهو ينشد ويقول

لقد ارسلت ليلى اليَّ رسولها * بان آتها سرًّا اذا الليل اظلما
فبتُّ على خوف وكنت معوذًا * احاذر ايقاظًا عداة ونوَّما
فبت وباتت لم نهمَّ بريبةٍ * ولم نبتغي والله يا صاح محرما
وكيف اعزّي القلب عنها تجلدًا * وقد اورثت في القلب داءً مكتما
فلو انها تدعو الحمام اجابها * ولو كلمت ميتًا اذًا لتكلما
ولو مسحت بالكف اعمى لاذهبت * عماهُ وشيكًا ثم عاد بلا عمى
منعمةٌ تنسي الحليم بوجهها * تزين منها عفة وتكرما
فتلك التي من كان داءٌ دواؤهُ * وهاروت منها كل سحر تعلما

وقال ايضًا

سابكي على ما فات مني صبابةً * واندب ايام السرور الذواهبِ
وامنع عيني ان تلذَّ بغيركم * سواكم وان جانبت غير مجانبِ

وخير زمان كنت ارجو دنوه * رمتنا عيون الناس من كل جانب
فاصبحت مرحومًا وكنت محسدًا * فصبرًا على مكروهها والعواقب

وقال ايضًا

بنفسي من لا بد اني اهاجره * ومن انا في الميسور والعسر ذاكره
فمن اجلها احببت من لا يحبني * وابغضت من قد كنت حينًا اعاشره
الا استفاء النفس لو تسعد النوى * ونجوى فؤادي لا تباح سرائره
احبك يا ليلى على غير ريبة * وما خير حب لا تعف ضمائره
وقد كان قلبي في حجاب يفكه * فحبك من دون الحجاب يباشره
اعد حياء ان تلح بي الهوى * وفيك المنى لولا عدو احاذره

وقال ايضًا

بيضاء باكرها النعيم كانها * قمر توسط جنح ليل اسود
موسومة بالحسن ذات حواسد * ان الحسان مظنة للحسد
وترى مدامعها ترقرق مقلة * سوداء ترغب عن سواد الاثمد
خود اذا كثر الكلام تعوذت * بحمى الحياء وان تكلم تقصد

وقال ايضًا

احن الى نجد واني لآيس * طوال الليالي من قفول الى نجد
فان تك لا ليلى ولا نجد فاعترف * بهجر الى يوم القيامة والوعد

وما زال حبه لليلى ينمو . وشوقه اليها يسمو . حتى علاه الوسواس .
وترك محادثة الناس . وخرج عن حد القياس فكان لا يلبس قميصًا

الاّ حرقهُ · ولا ثوبًا الاّ ومزّقهُ · وكان كثيرا ما يطوف في البراري والهضاب ويكتب الشعر باصبعهِ في الارض على التراب · ودمعهُ يجري على خديهِ مثل قطر السحاب · فلما طال عليهِ الحال · رثت لهُ قلوب الرجال واقبل منهم جماعة على ابيهِ · وقالوا لهُ لو اخرجتهُ الى مكة ليطوف بالبيت لعل الله يعافيه · ويخلصهُ من حب ليلى يسليه · فاجابهم الى ذلك واحتمل وسار بهِ الى مكة على جمل · فلما قدمها قال لهُ ابوهُ يا قيس تعلق باستار الكعبة فتعلق · فقال قل اللهمّ يامن احتجبت عن العيون · العالم بما كان وما يكون · اراحني من حب ليلى وازيل عني هذا الجنون · فقال الهنا الاله الحي القادر على كل شي · اني تائبٌ اليك عن جميع الخطايا والذنوب · الا من حب ليلى وذكرها فاني لا اتوب · ثم تاوه وتنهد وتنفس الصعداء وانشد

دعا المجرمون الله يستغفرونهُ ❊ بمكة شعثا كي تمحاًّ ذنوبها
وناديت يارحمن اول بغيتي ❊ لنفسيَ ليلى ثم انت حسيبها
يقولون تب عن حب ليلى وذكرها ❊ وتلك لعمري توبة لا اتوبها
يقرُّ بعيني قربها ويزيدني ❊ بها عجبًا من كان عندي يعيبها
فيا نفس صبرا لست والله فاعلمي ❊ باول نفس غاب عنها حبيبها

فلما سمع ابوهُ هذه الابيات · انهملت منهُ العبرات · ثم اخذهُ بيدهِ الى محفل من الرجال وسالهم ان يدعوا لهُ بالفرج والخلاص من هذه الحال · فلما اخذ الناس في الدعاء لهُ انشد وقال

ذكرتك والحجيج لــهُ ضجيجٌ ❊ بمكة والقلوب لها وجيبُ

فقلت ونحن في بلدٍ حرامٍ * بهِ لله اخلصت القلوبُ
اتوب اليك يارحمن مما * جنيت فقد تكاثرت الذنوب
واما عن هوى ليلى وتركي * زيارتها فاني لا اتوبُ
فكيف وعندها قلبي رهينٌ * اتوب اليك منها او انيب

قال الراوي ثم انهُ ترك اباهُ وانهزم . وقصد البراري والاكم . فتبعهُ ابوهُ وجماعة من قومهِ حتى ادركوهُ . وارادوا ان يربطوهُ بالحبال ويكتفوه فقال لهم بالله عليكم تمهلوا عليَّ قليلاً . فان قلبي قد اضحى عليلاً . ثم صاح صيحة عظيمة وانشد يقول

احقاً عباد الله ان لست صادرًا * ولا واردًا الاَّ عليَّ رقيبُ
ولا جالسًا وحدي ولا في جماعة * من الناس الا قيل انت مريبُ
وهل ريبةٌ في ان تحنَّ نجيبة * الى الفها او ان يحنَّ نجيبُ
وكيف اعزّي القلب بعد فراقها * واني على طول الزمان حبيبُ

وقال ايضًا

الى الله اشكو فقد ليلى كما شكى * الى الله فقد الوالدين يتيمُ
يتيمٌ جفاهُ الاقربون فعظمهُ * كسيرٌ وفقد الوالدين عظيمُ
بكت كبدي من فقدها وتهللت * دموعي كمزنٍ ضلَّ فهو سجومُ
وان زمانًا فرّق الله بيننا * وبينك ياليلى فذاك مشومُ
دعوني فما عن رايكم كان حبها * ولكنهُ حظٌ لها وقسيمُ

وقال ايضًا

يا هجر ليلى قد بلغت بي المدى * وزدت على ما لم يكن بلغ الهجرُ
عجبت لسعي الدهر بيني وبينها * فلما انقضى ما بيننا سكن الدهرُ
فيا حبها زدني جوًى كل ليلةٍ * ويا سلوة الاحزان موعدك الحشرُ
تكاد يدي تندي اذا ما لمستها * وتنبت في اطرافها الورق الخضرُ
ووجهٌ لهُ ديباجةٌ قرشيةٌ * بهِ تكشف البلوى ويستنزل القطرُ
ويهتزُّ من تحت الثنايا عجيزها * كما اهتز غصن البان والفنن النضرُ
فيا حبذا الاحياءُ مادمت بينها * ويا حبذا الاموات ان ضمكِ القبرُ
اريد لا نسى ذكرها فكانما * تهيج الصبا من حيث يستطاع الهجرُ
واني لتعروني لذكراك نفضةٌ * كما انتفض العصفور اذ بلهُ القطرُ
فما هو الا ان اراها بفجاءةٍ * فابهت لا عرفٌ لديَّ ولا نكرُ
فلو ان ما بي بالحصى فلق الحصى * وبالصخرة الصماء لانصدع الصخرُ
ولو ان ما بي بالوحوش لما رعت * ولا ساغها الماء النمير ولا الكدرُ
ولو ان ما بي بالبحار لما جرت * بامواجها بحرًا اذا زخر البحرُ

قال الراوي فبكى ابوه شفقة عليهِ . وهطلت دموعهُ على وجنتيهِ . ثم اعتنقهُ وقبلهُ بين عينيهِ . وقال لهُ يا ولدي الى متى وانت في هذا الشقاء العظيم والبلاء الجسيم . اما كفاك الجولان في القفار . وعدم الهجوع والقرار . وسهر الليل والنهار . حتى عدمت النشاط . وصرت كل يوم في ضعف وانحطاط . فان بقيت على هذه الحال . لا تزال في هزال وانحلال . وشرّ ووبال . لان ليس في ذلك الا اضاعة العمر والمصير الى المهالك . بعد

معي الان الى بني عامر . وكن منشرح الصدر مطمئن الخاطر . وانا اتلافى هذه القصة . وازوجك بليلى وازيل عنك هذه الغصة . قال وما زال ابوه يشاغلهُ بالاحاديث اللطيفة . والعبارات الظريفة . الى ان راق ولان ورجع معهُ الى الاوطان . وزالت عنهُ الغموم والاحزان . وفرحت بهِ الاهل والخلان . وصار عند ابيهِ في اعلى درجة وارفع مكان . فهذا ما كان منهُ وما جرى له . من مكابدة العشق وحرّ الصبابة والوله . واما ما كان من ليلى فانهُ كان قد شاع ذكرها بالافاق . وتحدثت فيها الناس في الحجاز وبلاد نجد والعراق . وتناشدوا ما قال فيها قيس من الاشعار الرقاق . التي لم يسبقهُ عليها احد من فحول الشعراء والعشاق . فكان كل واحد يود ان ينظرها . ويتمنى ان يراها ويبصرها . فترادفت عليها الخطاب وكثرت عليها الطلاَّب . ودخلوا على ابيها في ذلك من كل باب . وكان من جملتهم رجلٌ من بني ثقيف . يقال لهُ سعد بن منيف . وكان اعظم من طلبها قدراً . وافخمهم ذكراً . فاستشار الاب ابنتهُ ليلى . واظهر لها رغبتهُ في ذلك المولى . وقال قد انتشر صيتك في بلاد العرب . وخطبك مني السادات اصحاب المناصب والرتب وانا اصد كل طالبْ . ولا اصغي لخطبة خاطب . خوفاً من زوج ذميم الاخلاق . قبيح السيرة مرّ المذاق . لا تقدرين على معاشرتهِ . وتتعبين في مرافقتهِ . الى ان خطبك الان هذا الانسان . وهو من اكابر هذا الزمان وعمدة الذوات والاعيان . كثير المال . محمود الخصال . قد تحلى بالادب والجمال . واتصف بالهمة

العلية والكمال . وقد اجبتهُ الى هذا السوال . وازوجتك اياهُ دون بقية
الرجال . لان لا بد للمراة من زوج يلمها . فيسترها ويفرج همها . فلما
سمعت ليلى من ابيها ذلك الخطاب . اظهرت الكدر والاكتئاب . وعظم
عليها ذلك الامر . واكتوى قلبها بلهيب الجمر . لان هذا الخبر كان
لا يوافق غرضها . ولا يشفي علتها ومرضها . لانها كانت تحب قيساً
وتميل اليهِ . ولا يستقر خاطرها الا عليهِ . نظراً لما بينهما من المحبة القديمة .
والصداقة القويمة . فابت ولم تقبل . وفضلت حلول الاجل . وقالت هذا
امرٌ لا يتم ابداً . ولو متُّ قهراً وكمداً . فلما سمع كلامها . وعلم ما في
ضميرها ومرامها . تهددها بالكلام وشتمها ودار بهِ الغيظ فلطمها . فاجتمع
عليها الجيران . والاهل والخلان . فلما رات ما حل بها من الهوان . وان
موج البلايا احاط بها من كل مكان . اجابت سوالهُ بالكره والاجبار .
لا بالطوع والاختيار . ثم ندمت على زواجها بذلك الرجل غاية الندم .
وجرى قلم القضاء بما حكم . وصارت محبتها لهُ تكلفاً . ورؤيتها اياهُ تعسفاً .
فكان لا يقر لها قرار . ولا يطيب لها عيش لا بالليل ولا بالنهار . قال ولما
بلغ قيس هذا الخبر اضطرب . وتحرّق قلبهُ والتهب . واستولى عليهِ الجنون
بعد الهدو والسكون . وانشد يقول

وقد خبروني ان ليلى تزوجت * ولا بد لي من ان الاقي حليلها
فان كان مثلي لا ألمها على الهوى * وان كان دوني بئس ما قد قضى لها
وان كان من اوباش ما حوت القرى * لقد تعست ليلى واضنت خليلها

وقال ايضاً

حبيبٌ نأى عني الزمان بقربهِ ❋ فصيرني فرداً بغير حبيبِ
فلي قلب محزونٍ ونفس مذلةٍ ❋ ووحشة مهجورٍ ونفس غريبِ
فيا عقب الايام هل فيك مطمعٌ ❋ لردّ حبيب او لدفع كروبِ

ثم خنقتهُ العبرة وزادت عليهِ الحال. فخرج يهيم في الصحاري والتلال ويطوف في قلل الجبال. ويتحمل المشقات والاثقال. ويقتحم موارد الاهوال. حتى ضعف جسمهُ من شدة الانحال وجفَّ جلده على عظمهِ لقوة الهزال. فشفق عليهِ الاهل والجيران. والاصدقاء والخلان. وقالوا لابيهِ لو كنت تحملهُ وتعرضهُ على طبيب. لربما انتفع بعلاجهِ وتعود صحتهُ اليهِ عن قريب. فامتثل وخرج الى الصحراء في طلبهِ. حتى اجتمع بهِ. فلاطفهُ بالكلام. ولاقاهُ بالبشاشة والاكرام. ثم انهُ سار بهِ الى طبيب في تلك الاطراف. يقال لهُ علقمة بن عسَّاف وهو في بلاد العرب مشهور يعالج كل مجنون ومسحور فلما دخل عليهِ حدثهُ بقصة ولده على التمام وما هو فيهِ من العشق والغرام. وكيف انهُ قد حمّل نفسهُ ما لا يرام الى ان انهكهُ السقام واضناه. وصار عبرةً لمن يراه. بعد ما كان فريد زمانهِ ووحيد دهره واوانهُ. وفاق بالفصاحة والادب سائر اقرانهِ فعند ذلك اخذ الطبيب يسقيهِ شربة بعد شربة. ويكرههُ بالاحبة. فلما اكثر عليهِ المقال. انشد وقال

الا يا طبيب الجن ويحك داوني ❋ فان طبيب الانس اعياه دائيا

اتيت طبيب الانس شيخًا مداويًا * بمكة يعطي في الدواءِ الامانيا
فقلت لهُ ياعمّ حلمك فاحنكم * اذا ما كشفت اليوم ياعمّ مابيا
فخاض شرابًا باردًا في زجاجة * فطرّح فيها سلوة وسقانيا
فقلت ومرضى الناس يسعون حولهُ * اعوذ برب الناس منك مُداويا
فقال شفاء الحب ان تلصق الحشا * باحشاء من تهوى اذا كنت هاويا

قال الطبيب نعم ليس للعاشق الكئيب . دواء الامنادمة الحبيب فاذا حصل على ذاك الغرض . زال عنهُ هذا المرض . هذا وقيس يعض على لسانهِ وشفتيهِ . حتى كاد من فرط الحزن يقضى عليهِ . ثم نهض وخرج على وجههِ يهيم في الفلوات . فبينما هو يدور واذ راى نارا في بعض الجهات فدنا منها واذ حولها قوم رعاة . فانشد وقال

رعاة الليل ما فعل الصباح * وما فعلت احبتنا الملاحُ
وما بال النجوم معلقاتٍ * بقلب الصبّ ليس لها براحُ
كانّ القلب ليلة قبل ساروا * بليلى العامرية حيث راحوا
قطاةٌ غرّها شركٌ فباتت * تجاذبهُ وقد علق الجناحُ
رعاة الليل كونوا كيف شئتم * فقد اودى بيَ الحب المتاحُ

وقال ايضًا

ذكرت عشية الصدفين ليلى * وكل الدهر ذكراها جديدُ
اذا حال الغراب الجون دوني * فمنقلبي الى ليلى بعيدُ
عليّ اليةٌ ان كنت ادري * اينقص حبُّ ليلى ام يزيدُ

لهـا في طرفها لحظات حتف ٍ * تميت بها وتحيي من تريدُ
فان غضبت رايت الناس هلكى * وان رضيت فارواحٌ تعـود

وقال ايضًا

اقول لاصحابي وقد طلبوا الصلى * خذوا جمرة ان خفتم البرد من صدري
فان لهيب الشوق بين جوانحي * اذا ذكرت ليلى احرُّ من الجمر ِ
فقالوا نريد المـاء نسقي ونستقي * فقلت تعالوا فاستقوا الماء من نهري
فقالوا واين النهر قلت مدامعي * سيغنيكم دمع الجفون عن الحفر ِ
فقـالوا ولِمْ هذا فقلت من الهوى * فقالوا لحاك الله قلت اسمعوا عذري
الم تعرفوا وجهـًا لليلى شعاعـهُ * اذا برزت يغني عن الشمس والبدر
يمـرُّ بوهمي خاطرٌ فيودهـا * فيجرحها دون العيان لها فكري
هلالية الاعلى مطلهمة الذرى * مدحرجة السفلى مهفهة الخصر ِ
منعمة الكشحين مهضومة الحشـا * موردة الخدين واضحة الثغر ِ
فقالوا امجنونٌ فقلت موسوسٌ * اطوف بظهر البيد قفرًا الى قفر ِ
فـلا ملك الموت المريح يريحني * ولا انا ذو عيش ٍ ولا انا ذو صبر ِ
وصاحت بوشك البين منها حمامة * تغنت بليلى في ذرًى ناعم ٍ نضـر
مطوقةٌ طوقًا ترى في حزامها * اصول سـواد ٍ مطمئن على النحر ِ
ادنت باعلى الصوت منها فهيجت * فـوادًا معنًى بالمليحة لو تدري
كـأنَّ فوادي يوم جدَّ مسيرها * جناح غراب دام نهضًا الى وكر
فودعتها والنار تقدح في الحشـا * وتود يعهـا عندي امرّ من الصبر ِ

ورحت كاني يوم راحت جمالهم * سقيت دم الحياة حتى مضى عمري
ابيت صريع الحزن دامٍ من الهوى * واصبح منزوع الفواد عن الصدر
رمتني يدُ الايام عن قوس محنة * بسهمين في اعشار قلب وفي سحرِ
عناي دعتني في الهوى متعلقاً * وقد متُّ الآ انني لم ازر قبري
فلو كنت ماءً كنت من ماءِ مزنة * ولو كنت نوماً كنت من غفوة الفجر
ولو كنت ليلاً كنت ليل تواصلٍ * ولو كنت نجماً كنت بدر الدجى يسري
عليكِ سلام الله ياغاية المنى * وقاتلتي حتى القيامة والحشرِ

وقال ايضاً

الا زعمت ليلى بان لا احبها * بلى وليالي العشر والشفع والوترِ
بلى والذي لا يعلم الغيب غيرهُ * بقدرتهِ تجري السفائن في البحرِ
بلى والذي نادى من الطور عبدهُ * وعظم ايام الذبيحة والنحرِ
لقد فضلت ليلى على الناس كالتي * على الف شهرٍ فضلت ليلة القدر
تداويت من ليلى بليلى من الهوى * كما يتداوى شارب الخمر بالخمر
اذا ذكرت يرتاح قلبي لذكرها * كما انتفض العصفور من بلل القطر
مفلّجة الانياب لوان ريقها * يداوي بهِ الموتى لقاموا من القبرِ
هي البدر حسناً والنساء كواكبٌ * فشتان ما بين الكواكب والبدر
يقولون مجنونٌ يهيم بذكرها * فوالله ما بي من جنون ولا سحر
اذا ما نظمت الشعر في غير ذكرها * ابى وابيها ان يطاوعني شعري
فلا انعمت بعدي ولا عشت بعدها * ودامت لنا الدنيا الى ملتقى الحشر

عليها سلام الله من ذي صبابة * وصبٍّ معنًّى بالوساوس والفكر
مضى لي زمانٌ لو اخير بينهُ * وبين حياتي خالدًا آخر الدهر
لقلت ذروني ساعة وكلاها * على غفلة الواشين ثم اقطعوا عمري

وقال ايضًا

انيري مكان البدر ان افل البدرُ * وقومي مقام الشمس ما استاخر الفجر
ففيك من الشمس المنيرة ضوءها * وليس لها منك التبسم والثغرُ
بلى لك نور الشمس والبدر كلهُ * وما حملت عينيكِ شمسٌ ولا بدرُ
لك النظرة اللألاء والبرق طالعٌ * وليس لها منك الترائب والنحرُ
ومن اين للشمس المنيرة بالضحى * بمكحولة العينين في طرفها فترُ

قال الراوي واقام قيس مع الرعيان . نحو ساعة من الزمان . وهو ينشد الاشعار ويترنم . ويهيم بما يتكلم . ثم ترك ذلك المكان وقصد بعض الهضاب . وصار يتمرغ بالعظام ويلعب بالتراب . فبينما هو على مثل ذلك الشان . اذ مرَّ بهِ رجل من اكابر الاعيان . وفي صحبتهِ جماعة من الخدم والغلمان . يقال لهُ نوفل بن مساحق . وهو من بني بارق . فلما راهُ على تلك الحال . اخذتهُ الدهشة واعتراهُ الانذهال . وسأل عنهُ بعض الرجال . فقال لهُ هذا مجنون بني عامر . الذي فاق بالفصاحة والنظام على كل اديب وشاعر . وكان قد عشق جارية في هذه الايام . يقال لها ليلى بنت مهدي بن عصام . وتعلق قلبهُ بحبها وهام . وهجر الاهل والاحباب . وقصد البراري والهضاب . واختار القفار وطنًا . واتخذ لنفسهِ

سكنًا · فقال نوفل قد كنت احب ان انظر هذا الرجل والقاه · واحظى برؤياه · لاني قد سمعت كثيرًا عنهُ · فكيف لي بالدنوّ منهُ · قال اذكر لهُ ليلى فمتى ذكرتها فاق · وصفا خاطرهُ وراق · وانشدك من اشعاره البديعة ما لم يسبقهُ اليهِ احد من شعراء مضر وربيعة · فعند ذلك تقدم نوفل اليهِ · وسلم عليهِ · وقال لهُ بحياة ليلى التي هي عندك اعظم من كل شي · شنف من نفائس اشعارك اذنيّ · لانهُ قد بلغني بانك افصح الناس كلامًا واجودهم شعرًا ونظامًا · فبكي قيس وتململ · لما سمع كلام نوفل · وانشد يقول · من فواد متبول

تذكرت ليلى والسنين الخواليــا * وايام لم يعدي على الناس عاديا
ويوم كظل الرمح قصرت ظلهُ * بليلى فلهاني وما كنت لاهيــا
فياليلَ كم من حاجة لي مهمةٍ * اذا جئتكم بالليل لم ادر مــاهيا
خليلي الاَّ تبكياني فـارتجي * خليلاً اذا اجريت دمعي بكاليا
فما اشرف الايفاع الاَّ صبـابة * ولا انشد الاشعـار الا تداويا
وقد يجمع الله الشتيتين بعد ما * يظنان كل الظن الاَّ تلاقيا
لحى الله اقوامًا يقولون اننا * وجدنا طوال الدهر للحب شافيا
وعهدي بليلى وهي ذات موصدٍ * ترد علينا بالعشي المواشيـــا
فشبّ بنو ليلى وشبّ بنو ابنها * واعلاق ليلى في فوادي كما هيــا
اذا مــا جلسنا مجلسًا نستلذهُ * تواشوا بنا حتى اخلي مكانيا
سقى الله جاراتٍ لليلى تباعدت * بهنّ النوى حيث احتللن المطاليا

بتمرين لاحت نار ليلى وصحبتي ❊ بذات الغضا تزجى المطي النواجيا

فقال بصير القوم لمحة كوكب ❊ بدا في سواد الليل من ذي يمانيا

فقلت لهم بل نار ليلى توقدت ❊ بعليا تسامى ضوءها فبدا ليا

خليلي لا والله لا املك الذي ❊ قضى الله في ليلى ولا ما قضى ليا

قضاها لغيري وابتلاني بحبها ❊ فهلاَّ بشيء غير ليلى ابتلانيا

وخبرتماني ان تيماء منزل ❊ لليلى اذا ما الصيف القى المراسيا

فهذه شهور الصيف عنا قد انقضت ❊ فما للنوى يرمي بليلى المراميا

فلو كان واش باليمامة داره ❊ وداري باعلى حضر موت اتانيا

وقد كنت اعلو حب ليلى فلم يزل ❊ بيَ النقض والابرام حتى علانيا

فيارب سوّ الحب بيني وبينها ❊ يكون كفافًا لا عليَّ ولا ليا

فما طلع النجم الذي يهتدى به ❊ ولا الصبح الاَّ هيجا ذكرها ليا

ولا سرت ميلاً من دمشق ولا بدا ❊ سهيل لاهل الشام الاَّ بدا ليا

ولا سميت عندي لها من سمية ❊ من الناس الاَّ بلّ دمعي ردائيا

ولا هبت الريح الجنوب لارضها ❊ من الليل الاَّ بت للريح حانيا

فان تمنعوا ليلى وطيب حديثها ❊ عليَّ فلن تحموا عليَّ القوافيا

فاشهد عند الله اني احبها ❊ فهذا لها عندي فما عندها ليا

وقد لامني اللوام فيها جهالة ❊ فليت الهوى باللائمين مكانيا

فما زادني الناهون الاَّ صبابة ❊ وما زادني الواشون الا تماديا

قضى الله بالمعروف منها لغيرنا ❊ وبالشوق مني والغرام قضى ليا

وان الذي املت يام مالك * اشاب لفؤدي واستهام فواديا
اعدُّ الليالي ليلةً بعد ليلةٍ * وقد غشت دهرًا لا اعدُّ اللياليا
واخرج من بين البيوت لعلني * احدث عنكِ النفس بالليل خاليا
تراني اذا صليت يممت نحوها * بوجهي وان كان المصلي ورائيا
اصلي فلا ادري اذا ما ذكرتها * أ اثنين صليت العشا ام ثمانيا
وما بي اشراكٌ ولكنَّ حبها * وعظم الهوى اعيى الطبيب المداويا
احب من الاسماء ما وافق اسمها * واشبههُ او كان منهُ مداويا
لقد عيل صبري والغرام يقودني * وكثر اشتياقي لم يزل متعانيا
ولي زفرةٌ نعلواذا ما ذكرتها * احسُّ على قلبي لهيب المكاويا
ولا صبرلي والنار حشو حشاشتي * وطوفان دمعي فوق خدي جاريا
تغربت عن قومي واهلي ورفقتي * وسرت مع الغزلان في كل واديا
غريبٌ عن الاوطان ملقى على الثرى * اراعي نجوم الليل سهران باكيا
عدمت المنى والنوم والصبر والهنا * وفارقت الفًا كان مني مدانيا
خليليَّ ليلى اكبر الحاج والمنى * فمن لي بليلى اوفمن ذا لها بيا
يقولون ليلى اهل بيتي عدوةٌ * وافديكِ ياليلى بنفسي وماليا
يقولون ليلى بالعراق مريضةٌ * فياليتني كنت الطبيب المداويا
يقولون سوداء الجبين ذميمةٌ * ولولا سواد المسك ما كان غاليا
لعمري لقد ابكيتني ياحمامة اا * عقيق وابكيت العيون البواكيا
خليليَّ ما ارجو من العيش بعدما * ارى حاجتي تشرى ولا تشترى ليا

وتحرم ليلى ثم تزعم انني * سلوت ولا يخفى على الناس مابيا
وتعرض ليلى عن كلامي كانني * فقلت لليلى اخوةً وموالبا
فلم ارَ مثلينا خليلا صبابةٍ * اشد على رغم العداة تصافيا
خليلان لا نرجو لقاءً ولا ترى * خليلين الاَّ يطلبان التلاقيا
واني لاستحييك ان اعرض المنى * بوصلك او ان تعرضي في المباليا
يقول اناسٌ علَّ مجنون عامرٍ * يروم سلوًّا قلب اني لما بيا
كان دموع العين تسقي جفونها * غداةً رات اظعان ليلى غواديا
بيَ الياس او داء الهيام اصابني * فاياك عني لا يكن بك ما بيا
اذا ما استطال الدهر يا أم مالكٍ * فشان المنايا القاضيات وشانيا
فانتِ التي ان شئت اشقيت عيشتي * وانتِ التي ان شئت انعمت باليا
وانت التي ما من صديقٍ ولا عدا * يرى نصف ما ابقيتِ الاَّ رثى ليا
امضروبةٌ ليلى عليَّ ازورها * ومتخذٌ ذنبًا لها ان ترى ليا
اذا سرت في ارض الفضاء رايتني * اصانع رحلي ان ليلى حذائيا
يمينًا اذا كانت يمينًا وان تكن * شمالاً ينازعني الهوى عن شماليا
واني لا ستغشي وما بي نعسةٌ * لعل خيالاً منكِ يلقى خياليا
هي السحر الا ان للسحر رقيةً * وانيَ لا القى لها الدهر راقيا
اذا نحن ادلجنا وانتِ امامنا * فكف المطايا نحو وجهكِ هاديا
زكت نار شوقي في فوادي فاصبحت * لها وَهجٌ مستضرمٌ في فواديا
الا ايها الركب اليمانون عرجوا * علينا فقد امسى هوانا يمانيا

اسائلكم هل سال نعمان بعدنا * وحبَّ الينا بطن نعمان واديا
الا ايها الطير المحلق غاديا * تحمل سلامي لاتزرني اناديا
تحمل هداك الله مني رسالةً * الى بلدٍ ان كنت بالارض هاديا
الى قفرةٍ من نحو ليلى مضلةٍ * بها القلب مني موثقٌ ومناجيا
الا ياحمامي بطن نعمان هجتما * عليَّ الهوى لما تغنيتما ليا
وابكيتماني وسط صحبي ولم اكن * ابالي دموع العين لو كنت خاليا
ويا ايها القمريتان تجاوبا * بلحنيكما ثم اسجعا عللانيا
فان انتما استطربتما ووردتما * لحاقًا باطلال الغضا فابتغانيا
الا ليت شعري ما لقلبي وما ليا * وما للصبى من بعد شيبٍ علانيا
الا ايها الواشي بليلى الا ترى * الى من تشيها او لمن انت واشيا
فيارب اذ صيرّت ليلى هي المنى * فزدني بعينيها كما زدتها ليا
والاَّ فبغّضها اليَّ واهلها * فاني بليلى قد لقيت الدواهيا
على مثل ليلى يقتل المرء نفسهُ * وان كنت من ليلى على الناس طاويا
خليليَّ هيا واسعداني على البكا * فقد صغرت نفسي ورب المثانيا
خليليَّ لو كنت الصحيح وكنتما * سقيمين لم افعل كفعلكما بيا
خليليَّ ان ضنوا بليلى فقرّبا * ليَ النعش والاكفان واستغفرا ليا

قال الراوي فلما انتهى قيس من شعرهِ اهتزَّ نوفل طربًا . وتمايل عجبًا . وقال لهُ لله درّك على هذه الالفاظ الرشيقة . والمعاني البديعة الرقيقة . فانها لتشرح الخواطر والقلوب . وتجلي الغموم والكروب .

وتسلي المحب على فراق المحبوب · لانك ما تركت من ظرائف الغزل والنسيب · وانواع البديع في وصف الحبيب · مقالاً لشاعر لبيب · فهل الحب صيرك الى ما ارى · فقال نعم وقد سبب لي اكثر مما ترى · وانشد يقول

ايا حدثات الحيّ حين تحملوا * بذي سلمٍ لاجادكنّ ربيعُ
وخيماتك اللاتي بمنعرج اللوى * بلين بلى لم يبلهن ربوعُ
فلو لم يهجني الظاعنون لهاجني * نوائح ورقٍ في الديار وقوع
تداعين فاستبكين من كان ذا هوى * نوائح لا تجرى لهنّ دموعُ
لعمرك اني يوم جرعاء مالكٍ * لعاصٍ لامر المرشدين مضيعُ
وما كاد قلبي بعد ايام جاورت * اليها باجزاع العقيق يريقُ
على ان هطل الدمع ياليلَ كلما * ذكرتك يوماً خاليًا لسريعُ
ندمت على ما كان مني ندامةً * كما ندم المغبون حين يبيعُ
لعمرك ما شيءٌ سمعت بذكرهِ * كبينك ياتي بغتةً فيروعُ
عدمتكِ من نفسٍ شعاعٍ فانني * نهيتكِ عن هذا وانت جميعُ
فقرّبتِ لي غير القريب واشرقت * هناك ثنايا ما لهنّ طلوعُ

وقال ايضاً

طربت وهاجني الحمول الدوافعُ * غداةً دعى للبين اسفع فارعُ
فقلت الا قد بين الامر فانصرف * فقد راعنا بالبين قبلك رائعُ
سقيت سماماً من هواك فانني * تبينت ما حاولت اذ انت واقعُ

وكم من هوى او جيرةٍ قد العتهم * زماناً فلم يمنعهمُ البين مانعُ
مزيداً فعني هل ترى وجه مقعدٍ * لهُ زفرةٌ قد اجيلتها المدامعُ
كاني غداة البين رهن منيةٍ * اخو ظماء سدَّت عليهِ المشارعُ
يخلس من اوشال ماء خلاسةً * فلا الشوب مبذولٌ ولا هو ناقعُ
وبيضٌ غداهنَّ النعيم كانها * نعاج المهى جيبت عليها البراقعُ
تعارضنَ بالدل المليح وان يرد * حماهنّ مشغوفٌ فهن موانعُ
خضعن بمعروف الحديث بشاشة * كما مدَّت الاعناق وهي شوارعُ
عراض المطى قبُّ البطون كانما * وعى السرّ منهنَّ الغمام اللوامعُ
تحملن من ذات الضرائب وانبرت * لهنَّ باطراف العيون المرابعُ
فما رمنَ هجل الدار الا تشابهت * هجاياتها والجون منها الجوامعُ
وحتى حملن الحول من كل جانبٍ * وخاضت سدول لرقم منها الاكارع
فلما بدا تحت الخدور وقد جرى * عبيرٌ ومسكٌ بالعرانين ساطعُ
اشرنَ بهِ حشو المطيّ وقد بدا * من الصيف يوم يقصدا لظل مانع
فقمنَ يبارين السدول فراقمٌ * يلاعب عطفيهِ الحرير ورافعُ
بكل مُغَبَّاةٍ مذاقٍ كانها * اذا ردعت منها الحشاشة طالعُ
يعارضها عوجٌ كانَّ رضابهُ * سلافة فارٍ سبلتها الاخادعُ
رفيقٌ برجع المرفقين مصانعٌ * اذا راع منها بالحشاشة رائعُ
عليهِ كريم الخيم يخلط رحلهُ * برحلي ولم تسدد عليهِ المشارعُ
يجيب بلبيهِ اذا ما دعوتهُ * على غلة والنجم للعود كانعُ

الا ليت شعري هل ابيتن ليلةً * بحيث اطمأنت بالحبيب المضاجع

وهل اقمين رحلي الى جنب خيمةٍ * باجرع جفتها الربى والمنافعُ

وهل اتبعنَّ الدهر في نهضة الضحى * سواماً نليه حمولٌ رواضعُ

قال الراوي ثم تزايدت حسراتهُ . وتصاعدت زفراتهُ . فتنهد وبكى وتاوَّه وشكا . وقال جفتنا الاصحاب . وتخلت عنا الاهل والاحباب . فيالهُ من امر عظيم . وخطب جسيم . فقال لهُ نوفل . اعلم ايها الاخ المفضَّل . ان دمت على هذه الحالة . فانك هالك لا محالة . فتب الى الله وارجع اليهِ . واعتمد في امورك عليهِ . فهو يكشف عنك هذا العرض . ويزيل من قلبك المرض . قال يا اخي كيف اطيق الصبر . وقد اشتعل قلبي من الهوى بجمر . فبالله اذهب عني ودعني اقاسي العذاب . واقتحم موارد الهلاك والعطب . لانك كلما عزلتني . ونهيتني ونصحتني ازدادت فيها محبتي . وقويت اليها رغبتي . ثم غلب الحال . فانشد وقال

اليك عني فاني هائمٌ وصبٌ * اماترى الجسم قد اودى بهِ العطبُ

لله قلبيَ ماذا قد اتيح بهِ اا * اشواق والهم والاوجاع والوصبُ

ضاقت عليَّ بلاد الله مارحبت * ياللرجال فهل في الارض مضطرب

البين يؤلمني والشوق يجرحني * والدار نازحةٌ والشمل منشعبُ

كيف السبيل الى ليلى وقد حجبت * عهدي بها زمناً ما دونها حجبُ

وقال ايضاً

لوانهم سالوا من بالغرام قضوا * هل فرَّجت عنكمُ مذ متم الكربُ

لقال صادقهم ان قد بلي جسدي ❋ لكن نار الهوى في القلب تلتهبُ
جفت مدامع عين الجسم حين بكى ❋ وان بالدمع عين الروح تنسكبُ

وقال ايضاً

وقالوا لو تشاء سلوت عنها ❋ فقلت لهم واني لا أشاء
فقلت وحبها علق بقلبي ❋ كما علقت بارشيةٍ دلاء
لها حبٌّ تنشب في فوادي ❋ فليس لهُ وان زجر انتهاء
وعاذلةٍ تقطعني ملاماً ❋ وفي زجر العواذل لي بلاء

وقال ايضاً

ان الغواني قتلت عشاقها ❋ ياليت من جهل الصبابة ذاقها
في طرفهنَّ عقاربٌ يلسعنهم ❋ ما من لسعن بواجدٍ درياقها
ان الشفاء عناق كل خريدةٍ ❋ كالخيزرانة لاتمل عناقها
بيضٌ تشبه بالحقاق ثديُّها ❋ من عاجه حكت الثدي حقاقها
يدمي الحرير جلودهنَّ وانما ❋ يكسين من حلل الحرير رقاقها

وقال ايضاً

شجتني وابكتني منازل دُرَّسُ ❋ اسائلها عمن عهدت فتخرسُ
وعهدي بها محفوفةً ببدائعٍ ❋ تحلُّ بمغناها بدورٌ واشمسُ
رواجح اكفالٍ مريضات اعينٍ ❋ اليهنَّ يصبو الراهب المتقسسُ

وقال ايضاً

متى نلتقي حتى اقول وتسمعا ❋ فقد كاد حبل الوصل ان يتقطعا

بكت عيني اليمنى فلما زجرتها * عن الجهل بعد الحلم اسبلتا معا
اما وجلال الله لو تذكرينني * كذكراي ما كفكفتِ للعين مدمعا
بلى وجلال الله ذكري لوانهُ * تضمنهُ شم الصفا لتصدعا
واذكر ايام الحمى ثم انثني * على كبدي من خشيةٍ ان تقطعا
فليت عيشات الحمى برواجعٍ * اليك ولكن جلّ عينيك تدمعا

قال الراوي فتعجب نوفل من سرعة بديهتهِ · وعذوبة الفاظهِ وقوة فطنتهِ · وكان قد مال اليهِ · واخذتهُ الشفقة عليهِ · فقال لهُ ايها الحبيب والشاعر اللبيب · انهُ يعزُّ عليّ ويعظم لديّ · اني اراك في هذه الحال · تقاسي العذاب والنكال · فهل لك ان تسير معي الى الديار · وانا ازوجك ببعض البنات الابكار · من هي احسن واحلى · من ابنة عمك ليلى · فلما سمع كلامهُ جمدت عيناه · وعظمت بلاياه · وقال لا فعلت قولك ابدا · ولا تركت ليلى على طول المدى · فعند ذلك تركهُ نوفل وسار · وبقي قيس يهيم في السهول والاوعار · ينشد الاشعار · ويتقوت بنبات القفار · ويقاسي المشقات والاخطار · قال الراوي وكانت ليلى منذ تزوجت لا تنشف لها دمعة · ولا تبرد لها لوعة · وذلك لخوفها على قيس ووجدها بهِ لانها كانت مشغوفة بحبهِ · وكان لا يقرُّ لها قرار · ولا يطاوعها اصطبار · بل كانت تبكي في الليل والنهار · بدموع غزار · الى ان فار دم قلبها من فرط عشقها وحبها · ولما طال عليها الحال انشدت تقول من فواد متبول

اذا عثرت رجلي بدأت بذكره * واحلم في نومي بـه واعيشُ

اذا ذكر المجنون زالت بذكره * قوى النفس او كاد الفؤاد يطيشُ

فوالله ما زال الفؤاد يحبه * وان كان صدري في هواهُ يجيشُ

توعدني قومي بقتلي وقتله * فقلت اقتلوني واتركوهُ يعيشُ

وقالت ايضًا

لم يكن المجنون في حالةٍ * الا وقد كنت كما كانا

لكنهُ باح بسرّ الهوى * وانني قد زدت هجرانا

قال الراوي ثم استدعت بغلام من اهل الحي . كانت تعتمد عليهِ في كل شي . وكتبت الي قيس مع ذلك الغلام تقول

بسم الله الرحمن الرحيم . ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم اعلم يا ابن العم . وقاك الله عاقبة الضير والغم . انهُ قد اوحشني فراقك . وآلمني اشتياقك . وقد مرّ عليّ زمان . وانا مواظبة على الاحزان . لا ارى طريقًا للمفرّ . ولا قرار للمستقر . الى ان ضاق صدري . وقل صبري . وتواترت عليّ الاسقام . من كثرة البكاء وقلة الاكل والطعام . ولاشك بان حياتي في هذه الدنيا صارت قصيرة . وايام اقامتي يسيرة . حيث لم يعد لي صبرٌ على الفراق . وقد اكتوى قلبي بنيران الوجد والاشتياق . وما بقي في الامر الا التسليم والانقياد . على ما قدّرهُ علينا رب العباد . وختمت كلامها بهذه الابيات

سلامٌ عليكم لا سلام ملامةٍ * ولكن سلامٌ للمحب عطورُ

لقد عيل صبري بعدكم وتكاثرت * همومي ولكنَّ المحب صبورُ
فصبري على ريب الزمان وجورهِ * لعل صروف الدائراتِ تدورُ

وضمنتهُ ايضًا بهذين البيتين

واني لارجو قربكم ووصالكم * ومن دونكم امرٌ لديَّ مخيفُ
فلا تعجبوا ان كان في الحب صادقًا * فاني لكم دون الانام حليفُ

ثم انها امرت ذلك الشاب . ان يسير بطلبهِ في البراري والهضاب . وانها بانتظار الجواب . فامتثل وسار . وقصد الروابي والقفار . ولا زال يطلبهُ في جوانب البر . حتى التقى بهِ في يوم شديد الحر . قد التجى الى كهف جبل عظيم . بالقرب من ديار بني تميم . وهو مستلقي على ظهرهِ غارق في بحار فكرهِ . ينشد ويقول

احنُّ الى ليلى وان شطت النوى * بليلى كما حنَّ اليراعُ المشطَّبُ
يقولون ليلى عذَّبتك بحبها * الا حبذا ذاك الحبيب المعذّبُ
فلو تلتقي في الموت روحي وروحها * ومن دون رمسينا من الارض منكبُ
اظلَّ صدى رمسي وان كنت رمةً * لرمس صدى ليلى يهشُّ ويطربُ
ولو ان عيني طاوعتني لم تزل * ترقرق دمعًا اودمًا حين تسكبُ

قال الراوي فدنا منهُ الغلام . وحياهُ بالسلام ولاطفهُ بالكلام . وقال لهُ ايها الشاب الظريف . والاديب اللطيف . ان محبوبتك ليلى تسلم عليك . وقد ارسلتني بكتاب اليك . فيهِ ما يسر الخواطر . ويشرح القلوب والنواظر . فلما ذكر لهُ ليلى رجع عقلهُ اليهِ . واستوى جالسًا على

قدميهِ . وتناول الكتاب وقراه . ووقف على فحواه . فاضطرب وتنهد .
وكفكف دموعهُ وانشد

اذا جاءني منها الكتاب بعينهِ * خلوت بنفسي حيث كنت من الارض
واني لاهواها مسيئًا ومحسنًا * واقضي على نفسي لها بالذي تقضي
فحتى متى روح الرضا لاينالني * وحتى متى ايام سخطكِ لاتمضي

ثم اجابها على كتابها يقول : من قيس بن الملوح الهائم الوامق .
والحبيب الصادق . الى سيدة الملاح وكوكب الصباح . درة الصدف .
وياقوتة الشرف . من قد اتصفت بالمحاسن البهية . والصفات العلية .
والاداب السنية . ليلى العامرية . اني بينما كنت متشوقًا الى استماع اخبارك
واستكشاف آثارك . واستماع لفظكِ ومقالك . ومشاهدة انوار جمالك
اذ وردت لي عزيز رسائلك الموسومة بسمات المحبة الفائقة . المسفرة عن
ازدياد الصحبة الصادقة . فتلقاها القلب بالفرح . وزال عنهُ الغم وانشرح
غير انهُ لاخفاكِ ما انا فيهِ من الكدر . والقلق والضجر . وكثرة البكاء
والسهر . وكيف اني تركت الوطن المألوف . وانفردت في الروابي والكهوف
اهيم مع الوحوش والغزلان . وانتقل من مكان الى مكان . وحيدا عريانا
ذليلا مهانا . اقاسي ضرًا واحزانا . لايستقيم لي حال . ولا يرتاح لي بال .
حتى صرت نحيلا كالخيال . وذلك من كثرة الاشواق . وتباريح الهوى
ومرارة الفراق . فقاتل الله اباكِ الغدّار . وبلاهُ بالويل والدمار . لانهُ
كان سبب بليتي . وطردي عن اهلي وعشيرتي . وما كفاهُ ذلك حتى

انهُ زوَّجكِ برجلٍ غريب · واختار البعيد على القريب · وهذا شرح ما بي من الشقاء والتعذيب · واني لكِ على طول الزمان حبيب ❊

قال الراوي ثم تصاعدت من انفاسهِ الزفرات · فختم كلامهُ بهذه الابيات

ايا مهديًا نحو الحبيب رسالتي ❊ تلطف فاني في هوى وهوانِ

فمن مبلغ الاحباب عني مقالة ❊ بأنَّ فوأدي دائم الخفقانِ

واني لممنوع من النوم مدنفٌ ❊ وعيناي من وجد الاسى تكِفانِ

وكتب اليها ايضًا

هل لبيب من الرجال فاشكو ❊ ما بقلبي حتى يملّ لساني

ترك الظاعنون قلبي رهينًا ❊ وعيوني تفيض بالهملانِ

وجفاني من كان يسكن قلبي ❊ وجفاني من كان لايجفاني

وكتب ايضًا

لقد جلب البلاء عليَّ قلبٌ ❊ فقلبي ما علمت لهُ جلوبُ

احاط بهِ البلاء فكل يومٍ ❊ تقارعهُ الصبابة والخطوبُ

وان تكن القلوب كمثل قلبي ❊ فلا كانت اذًا تلك القلوبُ

وكتب ايضًا

لقد محض الله الهوى لك خالصًا ❊ وركبهُ في القلب مني بلاغشّ

تبرأ من كل الجسوم وحلَّ بي ❊ فان متُّ يومًا فاطلبوهُ على نعشي

سلِ الليل عني هل اذوق رقادهُ ❊ وهل لضلوعي مستقرٌّ على فرشِ

وكتب ايضًا

سابكي على ما فات مني صبابةً * واندب ايام السرور الذواهبِ
وامنع عيني ان تلذّ بغيركم * سواكم وان جانبت غير مجانبِ
وخير زمانٍ كنت ارجو دنوهُ * رمتنا عيون الناس من كل جانب
فاصبحت مرحوماً وكنت محسَّداً * فصبراً على مكروهها والعواقبِ

قال الراوي ثم ان ذلك الشاب. رجع الى ليلى بالجواب. واخبرها عن قيس واحوالهِ . وما يقاسي من وجدٍ وبلبالهِ . فتشوّش خاطرها . وتكدرت ضمائرها . وتضاعف همها وغمها . وتحسرت على قيس ابن عمها . فكانت تبكي عليهِ في الليل والنهار . وتنشد فيهِ رقيق الاشعار . ودامت على ذلك مدة مديدة . واياماً عديدة . قال واتفق في وقت من الاوقات . ان جاريتها رأت في بعض الطرقات . صيادا معهُ خمسة غربان فاشترتهم واتت بهم الى سيدتها فخرجت بهم ليلى الى خارج البيوت وجعلت تضرب غراباً غراباً حتى يموت . فتعجب زوجها واندهل . وقال لها ما الذي احوجك الى هذا العمل . فقالت ان نعيق الغراب . يدلّ على فراق الاحباب وتمزيق شمل الاصحاب . وان ابن عمي قيساً ذكرهم في شعرهِ جملة امرار . وامرهم ان يقعوا على عرصات القفار . وقد قال

الا يا غراب البين عذبت مهجتي * ولا زلت بالتبعاد تكوي فواديا
الا يا غراب البين عيشك طيبٌ * وعيشي بليلى كدَّرتهُ اللياليا
الا يا غراب البين دمعك جامدٌ * ودمعي اضحى في المحبة جاريا
الا يا غراب البين لا زلت ذايباً * الى الحشر مقصوص الجناحين عاريا

الا ياغراب البين مالك ناعيــًا * افارقت الفًا ام دهتك الدواهيا
الا ياغراب البين مــالك تنثني * اناديت بالتفريق لاعدت ثانيا
الا ياغراب البين لابضت بيضة * ولازال ريشٌ من جناحك خاليا

وقولهُ ايضًا

الا ياغرابًا صاح من نحو ارضها * افق لاافقت الدهر من صيحانِ
الا ياغراب البين قد طرت بالذي * احاذرهُ من واقع الحدثانِ
فلا زلت مذعور الفؤاد مروعًا * اذا رمت نهضًا واهيَ الطيرانِ

وقولهُ ايضًا

كذبت غراب البين ما انت واجدُ * كوجدي ولاشوقي وشوقك واحدُ
زعمت لحاك الله انك عاشقٌ * فهل لك من دعواك ويحك شاهدُ
فويحك ما تخفي المحب دموعهُ * فدمعيَ منهلٌ ودمعك جامدُ

وقولهُ ايضًا

اقول وقد صاح ابن داية غدوةً * ببعد النوى لااخطأَتك السنابك
افي كل يوم رائعي انت روعةً * فلا زلت مطرودًا والفك فاركُ
ولا بضت في خضراء ما عشت بيضة * وضاقت برحبيها عليك المسالكُ
وفارقت ام الافرخ السود عن قلى * وناحت على ابنيك الدروس المحالك
واصبحت من بين الاحبة هالكًا * كما انا من بين الاحبة هالكُ

فآليت ان لا اقع بغراب بعد هذا المقال . الا قتلتهُ في الحال . واعلم ياهذا حفظك الله وهداك . ان تزويجي اياك . لم يكن رغبة في جمالك . ولا في

رفعة مقامك وكثرة مالك . وقد كنت حلفت ان لا اتزوج بعد قيس ابداً . ولو متُّ شوقًا وكمداً . لانهُ صاحبي ومعتمدي وقرة عيني وكبدي وحبهُ لاينتزع من قلبي وجسدي . وليس في ذلك من عار . ولا عيب ولا شنار . لان محبتي لهُ لم تكن صادرة الا عن نيةٍ صالحة . وطوية طيبة زكية الرائحة . ولكن كتب عبد الملك بن مروان يأمر ابي بتزوجي فكان من الامر ما كان . ولكني ساصبر على ما رقمهُ القلم . واثبتهُ الله حيث حكم . قال فلما سمع زوجها ذلك الخطاب . اشتبه من كلامها ووقع في اضطراب . واخذتهُ الغيرة وداخلهُ الشك والارتياب . وتغيرت نيتهُ عليها ونقدم ضميرهُ بالسوء اليها . ثم انهُ ذهب اليها في الحال وقص عليهِ ما سمعهُ منها من المقال . فخجل ذلك الحبيب . عند سماعهِ هذا الحديث واضطرب جسمهُ وارتجف . وقال لهُ لا تخف . ثم اخذ يلاطفهُ بالحديث والكلام واخبرهُ بخبر قيس على التمام . وكيف انهُ يحبها عمهُ من سنين واعوام اخرج لهُ كتاب عبد الملك بن مروان . وقال لهُ ان الخليفة هدر دمهُ ان عاد اجتمع بها في مكان . وما زال يحدثهُ بمثل هذا الكلام . حتى زالت عنهُ الشكوك والاوهام . واشتاق الى رؤيه قيس ومنادمتهِ . ومال الى معرفته وما زال يترقب الفرص . الى ان خرج ذات يوم الى الصيد والقنص فالتقى بهِ وهو في روضة خضراء . بالقرب من الصحراء . وبقربهِ قطيع من الغزلان والوعول . وهو ينظر الى ظبية ترضع خشفها وهو ينشد ويقول

نظرت ببطن مكة ام خشفٍ * منعمةٍ وناشرةٍ طلاهـــا

فاعجبني ملامح منكِ فيها * فقلت اخا الغريب اما تراها
ولولا انني رجلٌ حرامٌ * ضممت قرونها ولثمت فاها

فتقدم زوج ليلى اليهِ وسلم عليهِ وانشد يقول

ومن عجبٍ جنونك في فتاةٍ * مزوَّجةٍ سواك ولن تراها
ايامجنون كم تهوى بليلى * كأنَّ الله لم يخلق سواها

قال الراوي فصاح قيس من شدة الوجد والوسواس . وسال عنهُ بعض الناس فقيل لهُ هو بعل ليلى التي تحبها . وترغب قربها فخر مغشيًا عليهِ . ثم فاق فاشار اليهِ

بعيشك هل ضممت اليك ليلى * قُبيل الصبح ام قبلت فاها
وهل دارت يداك بمكبيها * وهل مالت عليك ذوائبها

فضحك زوج ليلى وتبسم . وقال لهُ اللهم اذا حلفتني فنعم . فلما سمع قيس منهُ ذلك المقال . اضطرب فوادهُ وانشد وقال

افي كل يومٍ انت تحظى بقربها * وتلثم فاها او تضم ثديّاها
وتعتنق الارداف منها وخصرها * وتشفى من ليلى العشية رياها
وفي كل وقتٍ انت بالله لازمٌ * ذوائبها مستمتعٌ من محياها

قال الراوي فخجل زوج ليلى وتكدر . وتشوش خاطرهُ وتعكر . وقال لهُ احذر ياقيس من غفلات الزمان . وسطوات الاعوان . فان امير المؤمنين عبد الملك بن مروان . قد هدر دمك مرة ثانية . ان كنت لاتنتهي عن ذكر هذه الجارية . لانك فضحتها في الاشعار . وهتكتها في سائر

الاقطار · وقد علمت بحقيقة الحر عكس من ذلك على حذر · فزاد بقيس القلق والضجر · وفاض دمعهُ على خديهِ وانحدر · وقال لهُ والله انهُ منذ ثلاثة ايام · بينما كنت اطوف في بعض الاكام · زارني طائران وقالا لي وحق الملك الديان · لقد قضى الرحمن · بانقضاء ايام عبد الملك بن مروان · ثم اطرق مليًّا · واقام مدة لا يتكلم شيئًا · ثم امعن فيهِ النظر · واجال قداح الفكر · وقال اقسم بجامع الشتات · ومخرج النبات انها سوف تصلكم الاخبار بعد مدة · واندهش زوج ليلى من كلامهِ · وارتد راجعًا الى خبائهِ · وما مضى اكثر من ثلاثة ايام بعد ذلك الكلام · حتى شاع الخبر بموت السلطان · في قبائل العربان · فتعجب زوج ليلى من ذلك الاتفاق الغريب · والامر العجيب

قال الراوي وكان ابو قيس لا يطيب لهُ عيش ولا يرتاح لهُ بال · خوفًا على ولده من الهلاك والوبال · لانهُ كان عالمًا بالحزن الذي هو فيهِ · والشقاء الذي كان يكابده ويلاقيه · فخرج في طلبهِ ذات يوم مع جماعة من القوم · وما زالوا يقطعون السهول والاكام · مدة ثلاثة ايام · وفي اليوم الرابع التقوا بهِ وهو على الرمل جالس · مطرق راسهُ الى الارض عابس فبكى ابوهُ وترامى عليهِ · وقبلهُ بين عينيهِ · وقال لهُ يا ولدي · ومهجة كبدي الى متى وانت في هذه الحال تقاسي الشدائد والاهوال · والمحن والاذلال بعد ذلك الجاه والدلال · فاين عقلك وحلمك · واين ادبك وفهمك · فقد كفاك · ما دهاك · فقم بنا الآن نرجع الى الاوطان · فان هذا الذي انت

فيهِ انما هو من عمل الشيطان · فازجرهُ عنك واتقِ الرحمن · فقال اني لك سامع ولامرك طائع · الا في هذا الشان · فانهُ خارج عن حد الامكان ثم فاضت عيناهُ بالدموع · وانشد من فؤاد مصدوع

ياحبذا عمل الشيطان من عملٍ * ان كان من عمل الشيطان حبيها
منيتها النفس حتى قد اضرَّبها * واحدثت خلفاً مما امنيها

وقال ايضاً

ياليت اني اتاني قبل فرقتنا * موتٌ ذريعٌ واني كنت مقرورا
لقد رايت بلاءً لا انصراف لهُ * لوكنت في حب ليلى اليوم معذورا

قال لهُ ابوهُ اذكر الله في نفسك · قبل حلول رمسك · فقال قد صدقت وبالحق نطقت · وانشد يقول

دعوت الهي دعوةً يستجيبها * وربي بما تخفي الصدور خبيرُ
فما اكثر الاخباران قد تزوجت * فهل ياتيني بالطلاق بشيرُ

وقال ايضاً

اقول ودمع العين يحرق مقلتي * وقد لاح من ارض العقيق بروقها
تحملت اثقال الهوى مذ عرفتها * وما كنت لولا حب ليلى اطيقها

وقال ايضاً

اني ارى خفقان القلب يقلقني * قد كان من قبلها ما كان يكفيني
قالوا جننت بمن تهوى فقلت لهم * الحب اعظم مما بالمجانينِ
الحب ليس يفيق الدهر صاحبهُ * وانما يصرع المجنون في الحينِ

وقال ايضاً

اموت اذا شطَّت واحيا اذا دنت * وتبعث احزاني الصبا ونسيمها

فمن اجل ليلى تولع العين بالبكا * ويأوي الى قلبٍ كثيرٍ همومها

كأن الحشا من تحتهِ علقت بهِ * يدُ ذاتِ اظفارٍ فادمت كلومها

عشقتك اذ كانت بعيني غشاوةٌ * فلما تجلت عيني اخذت الومها

تذكرت وصل الغانيات ولم اذق * للذات دنيا قد تولى نعيمها

وقال ايضاً

عفى الله عن ليلى وان سفكت دمي * فاني وان لم تجزني غير عاتبِ

عليها ولا مثلي لليلى شكاية * وقد يشتكي المبلى الى كل صاحب

يقولون تب عن ذكر ليلى وحبها * وما خلتني عن حب ليلى تائب

قال الراوي ثم انهُ تركهم وذهب . وتبطن في ذلك البرّ وانقلب . وما زال يجول من مكان الى مكان . حتى وصل الى جبل يقال لهُ ثوبان . وكان كثيرا ما يجتمع بليلى في ذلك المكان . فلما رآهُ تذكر ايام الصبا وتجددت عليهِ الهموم والاحزان . فانشد وقال

واجهشت للثوبان حتى رايتهُ * ونادى باعلى صوتهِ ودعاني

فقلت لهُ اين الذين عهدتهم * حواليك في خصبٍ وطيب زمانِ

فقال مضوا واستودعوني بلادهم * ومن ذا الذي يبقى على الحدثانِ

واني لابكي اليوم من حذري غداً * فراقك والحيَّان موتلفانِ

سجالاً وتهطالاً ووبلاً وديمةً * وسحًّا وتسجامًا الى هملانِ

قال الراوي ثم انهُ بكى من فؤادٍ مجروح · واذا بهِ يسمع صوت حمامة تندب الفها وتنوح · فانشد وقال

حمامة أيكٍ غردت فترنمت * وكادت تتذكار الاحبة تفضحُ
وتبدي باسرارٍ لها بعد نوحها * وتظهر مكنون الغرام وتفضحُ

وقال ايضًا

فما وجد اعرابيةٍ قذفت بها * ايادي النوى من حيث لم تكُ ظنَّتِ
اذا ذكرت نجدًا وطيب ترابهِ * وبرد حصاهُ اعولت وارنَّتِ
باكثر مني حرقةً وصبابةً * الى هضباتٍ باللوى قد اضلَّتِ
تمنت احاليب الرعاء وخيمت * بنجدٍ فلم يقدرْ لها ما تمنَّتِ
باوجد من وجدي بليلى وجدتها * غداة ارتحلنا غربةً واطمأنتِ
الا قاتل الله الحمامة غدوةً * على الغصن ماذا هيجت حين غنتِ
نغنت بلحنٍ اعجميٍّ فهيجت * هواي الذي بين الضلوع اجنَّتِ
نظرت اليهنَّ الغداة بنظرةٍ * ولو نظرت ليلى بطرفي لحنتِ
خفت شجنًا من شجوها ثم اعولت * كاعوال ثكلى اثلكت ثم جنَّتِ
فما أخرتْ اذ هيجت من صبابتي * غداة استباحت للهوى وارتأنتُ
اقول لجاري عبر ليلى وقد ترى * ثيابيَ يجرى الدمع فيها فبلَّتِ
الا قاتل الله الهوى من براقةٍ * وقاتل دسأمًا بها كيف ولتِ
عبرنا زمانًا باللوى ثم اصبحت * براق اللوى من اهلها قد تخلتِ
ألام على ليلى ولوان هامتي * تداوى بليلى بعد يبسٍ لبلَّتِ

بذي اشرٍ تجري بهِ الراح فانهلت * تخال بهـا بعد العشاء فعلّتِ

وتبسم ايماض الغمامة ان شمت * البهاعيون الناس حين استهلت

حلفت لها بالله ما حل بعدها * ولا قبلهـا انسية حيث حلتِ

اقامت باعلى شعبةٍ من فؤاديا * فلا القلب يسلوها ولا العين ملّتِ

وقد زعمت اني سأبغي اذا نأت * بها بدلاً يا بئس مـا بي ظنتِ

فيا حبذا اعراض ليلى وقولها * همت بهجر وهي بالهجر همّتِ

فيا أمُّ سقبٍ هل لك من مضلةٍ * اذا ذكرتهُ آخر الليل حنتِ

بابرح مني لوعةً غير انني * اجمجم احشاءي على ما أكنتِ

خليليّ هذه زفرة اليوم قد مضت * فمن لغدٍ من زفرةٍ قد اظلتِ

ثم انهُ ترك ذلك المكان . وقصد الروابي والكثبان . وهو ينشد الاشعار الحسان . ويهيم مع الوحوش والغزلان . واتفق ان رجلاً من بني اسد خرج ذات يوم من الديار . طالبًا البراري والقفار * قال الرجل * ومازلت اقطع السهول والاوعار . الى ان توصلت الى روضت كثيرة الازهار . والرياحين والانوار . فحدثتني نفسي ان اقيم فيها . واتنزّه في بعض نواحيها فنزلت في ارجاء تلك الازهار المونقة . والانوار البديعة المورقة . وانخت ناقتي الى قنوان شجرة صغيرة . وجلست برهة يسيرة . فبينما انا اتامل في تلك الروضة والمروج الطويلة العريضة . اذ سقطت رجل من الجراد . كثيرة الاعداد . على ذلك الواد . فافترشت جنباتها وارضها . واخذت طولها وعرضها . فتعجبت من تلك المناظر البهية . والروائح الزكية . واذا انا

بشخص قد وفد اليَّ من صدر البرية . ناحل الجسم . عار من اللحم . ليس على جسده غير شعره . وهو منسدل على صدره . فراعني منظرهُ واندهشت وخفق فؤادي وارتعشت . وانقطع كلامي وصوتي . وخشيت ان يكون فيهِ هلاكي وموتي . وما شككت الا انهُ شيطان . او مارد من الجان فلما دنا مني انشأ يقول

حبَّ الينا بك ياجرادُ * ارضٌ وان جاعت بك الاكبادُ
وضاقت الاصدار والاورادُ * ولم يكن فيك لنا عنادُ
ولا لابناء السبيل الزادُ

فقلت لهُ انسيٌّ ام جنيٌّ . فانشد يقول

خليليَّ فاني بالهيام معذَّبُ * فاياك عني لا يكن بك ما بيا
خليليَّ فلا والله ما بي ضلالةٌ * ولكنَّ هذا حبُّ ليلى بلانيا
الا ان ليلى هي غرامي ومحنتي * واني بليلى قد عدمت حياتيا
ارى الحب داءً قد تمكن بالحشا * وليس سوى ليلى طبيبٌ مداويا
تمرُّ الليالي والدهور ولن ارى * هوائي بها يزداد الاَّ تماديا
فما زلت بي يابين حتى لو انني * من الوجد استبكي الحمام بكى ليا
ولو انني اشكو الذي قد اصابني * الى ميت في قبره لرثى ليا
اذا ما شكوت الحب قالت كذبتني * فما لي ارى الاعضاء منك كواسيا
فلا حب حتى يلصق الجلد بالحشا * وتخرس حتى لا تجيب المناديا

قال الرجل ثم خرَّ مغشياً عليهِ . فبادرت الى الماء ونضحت على وجههِ

واذنيهِ . فافاق بعد حين . وانشد يقول من فوادٍ حزين

بلادي لو فهمت بسطت عذري * اذا ما القلب عاودهُ نزوعُ
بها الحسن البديع لمن بغاهُ * وحزعٌ للغريب بـــهِ مريعُ
الى اهل الكرام نساق نفسي * فهل يومًا الى وطني أُريعُ

وقال ايضًا

ايا قلب مت حزنًا ولا تك جازعًا * فان جزوع القوم ليس بخالدِ
هويت فتاةً كالغزالة وجهها * وكالشمس يسبي نورها كل عابدِ
ولي كمدٌ حرّى وقلبٌ معذبٌ * ودمع حثيث في الهوى غير جامدِ
فيا ليت ان الدهر عاد برجعةٍ * وهيهات ان الدهر من بعائدِ
فوا اسفًا حتى مَ قلبي معذّبٌ * الى الله اشكو طول هذي الشدائدِ
وقد شسعت ليلى وشط مزارها * وغيرها عن حبها قول حاسدِ

وقال ايضًا

ان الظباء التي في الدور يعجبني * تلك الظباء التي لا تاكل الشجرا
لهنَّ اعناق غزلان واعينها * وهنَّ احسن من صيرانها صورا
ولي فوادٌ يكاد الشوق يصرعهُ * اذا تذكرت من مكتومهِ الذكرا
كانت كدرّةِ بحرٍ غاص غائصهُ * فاسلمتهـــا يداهُ بعد ما قدرا

قال الرجل فتعجبت من شدة عشقهِ وغرامهِ . ورقة شعرهِ وعذوبة كلامهِ . فقلت لهُ ويحك يا اخا العرب . وسيد اهل الفصاحة والادب اني اراك في عذاب اليم . وخطر عظيم . وحال غير مستقيم . ولا شك ان

هذا البلاء الذي انت فيهِ · والعناء الذي تقاسيهِ · نتج عن هوادس ردية ووساوس شيطانية · فبادر الان واستعمل فكرك الرزين · وتب الى رب العالمين · فهو يكشف عنك هذا الداء الدفين · لانهُ سميع مجيب · ومن اتكل عليهِ فلا يخيب · فلما سمع كلامي بكى من عظم جواه · حتى تزلزلت اركان اعضاه · وانشد وقال

اتاني هواها قبل ان اعرف الهوى ❋ فصادف قلبًا خاليًا فتمكنا

وقال ايضًا

يجيشون في ليلى عليَّ ولم انل ❋ مع العزل من ليلى حرامًا ولا حلاًّ
سوى ان حبًّا لو يشاء اقلها ❋ ولو تبتغي ظلاًّ لكان بها ظلاًّ
الا حبذا اطلال ليلى على البلا ❋ وما بذلت لي من نوال وان قلاًّ
فلا يتمادى العهد الا تجددت ❋ مودتها عندي وان زعمت الاَّ

فقلت لهُ استشعر الصبر يا ابن الكرام · واستبقِ مودة الحبيب بكتمان العشق والغرام · فكان من جوابهِ ان قال

الا قل لمن امسيت مضنًى بحبها ❋ ومن هي رجاء النفس بالبعد والقربِ
اناخ هواها في فوادي فصادني ❋ ومن ذا يطيق الصبر عن محمل الحبِّ
فلا غرو ان الحب للمرء قاتلٌ ❋ يقلّبهُ ما عاش جنبًا الى جنبِ
ويسقيهِ كاس الموت قبل اوانهِ ❋ ويوردهُ قبل الممات الى التربِ
فان كان ذنبي حب ليلى واهلها ❋ فلا غفر الله المهيمن لي ذنبي

فاقسمت عليهِ ان ينشدني احسن مقالهِ في وصف المحاجر والنهود ·

والاطراف والخدود . وانشد يقول

ليالِيَ اصبو بالعشيّ وبالضحى * الى خرّدٍ ليست بسود ولا عصلِ
منعمة الاطراف هيف بطونها * كواعب تمشي مشية الخيل بالوحلِ
واعناقها اعناق غزلان رملةٍ * واعينها من اعين البقر النجلِ
واثلاثها السفليّ وادي ساحلٍ * واثلاثها الوسطى كثيب من الرملِ
واثلاثها العليا كأن فروعها * عناقيد تغري بالدهان وبالعسلِ
وترمي فتصطاد القلوب عيونها * واطرافها ما تحسن الرمي بالنبلِ
زرعن الهوى في القلب ثم سقينهُ * صبابات ماء الشوق من اعين نجلِ
ربائب اقصدن القلوب وانما * هي النبل ريشت بالفتور وبالكحلِ
ففيمَ دماء المسلمين مطلةٌ * بلا قوَد عند الحسان ولا عقلِ
ويقتلن ابناء الصبابة عنوة * اما في الهوى يارب من حكمٍ عدلِ

فقلت هل من مزيد . ايها الشاعر المجيد . فقال نعم وانشد

ومفروشة الخدين وردًا مضرجا * اذا جمشتهُ العين عاد بنفسجا
شكوت اليها طول شوقي بعبرة * فابدت لنا بالغنج درًّا مفلجا
فقلت لها جودي عليَّ بلثمة * اداوي بها قلبي فقالت تغنجا
بليت بردف لست اقدر حملهُ * يجاذب اعضاءي اذا ما ترجرجا

وقال ايضًا

الا ليتنا كنا غزالين نرتعي * رياضًا من الجوزان في بلدٍ قفرِ
الا ليتنا كنا حمامي مفازة * نطير وناوي بالعشيّ الى وكرِ

الا ليتنا حوتان في البحر نرتمي ✻ اذا نحن امسينا نغوّر في البحر
الا ليتنا نحيى جميعًا وليتنا ✻ نصير اذا متنا ضجيعين في قبر
ضجيعينِ في قبرٍ عن الناس معزلاً ✻ ونقرن يوم البعث والحشر والنشر

وقال ايضًا

احنُّ الى ارض الحجاز وحاجتي ✻ خيامٌ بنجدٍ دونها الطرف يقصرْ
وما نظري من نحو نجدٍ بنافعٍ ✻ اجلْ لا ولكنني على ذاك انظرُ
افي كل يومٍ نظرةٌ ثم عبرةٌ ✻ لعينيك يجري ماؤها ويحدّرُ
متى يستريح القلب امّا مجاورٌ ✻ حزينٌ واما نازحٌ يتذكرُ
يقولون كم تجري مدامع عينهِ ✻ لها الدهر دمعٌ واكفٌ يتحدرُ
وما كل ما تستنزل العين ماؤها ✻ ولكنهُ نفسٌ تذوب وتقطرُ

وقال ايضًا

ايا ويح من امسى يخلّس عقلهِ ✻ فاصبح مذهوبًا بهِ كل مذهبِ
خليعًا من الغزلان الا معذرًا ✻ يضاحكني من كان يهوى تجنبي
اذا ذكرت ليلى عقلتُ وراجعت ✻ رواجع قلبٍ من هوى متشعبِ
وقالوا صحيح ما بهِ طيف جنةٍ ✻ ولا المٌ الّا افتراء مكذبِ
ولي سقطات حين اغفل ذكرها ✻ يفوض عليها من اراد تعقبي
وشاهد حزني دمع عيني وحبها ✻ برى اللحم عن احناء عظمي ومنكبي
تجنبت ليلى ان يلجَّ بيَ الهوى ✻ وهيهات كل الحب قبل التجنبِ
باحسن من ليلى ولا ام فرقد ✻ غضيضة طرف رعتها وسط ربرب

ولم ارَ ليلى بعد موقف ساعة * ببطنٍ متى ترمي جماد المحصبِ
ويبدي الحصا منها اذا قذفت بهِ * عن البرق اطراف البنان المخضبِ
اشارت بموشومٍ كأنَّ بنانهُ * عليهِ الماثي من دمقس مهذَّبِ
فاصبحت من ليلى الغداة كناظر * مع الصبح في اعقاب نجم مغربِ
الا انما غادرتِ يا امَّ مالكٍ * صدى اينما تذهب بهِ الريح يذهبِ
ابت ليلتي بالعيل لم ارَ مثلها * من الدهر الا الحب غير المكذبِ
حلفت بمن ارسى ثبيراً مكانهُ * يظلُّ ضبابٌ حولهُ يتضببِ
لقد عشت من ليلى زماناً احبها * ارى الموت منها في مجيءٍ ومذهبِ
فعيدك رب الناس يا امَّ مالك * الم تعلمينا نعم مأوى المعصّبِ
لهُ حفظهُ الاوفى اذا كان غائباً * وان جاء يبغي نيلها لم يؤنبِ

قال الرجل ثم قطع شعرهُ وذهب . وطلب الهزيمة والهرب . فاندهشت من امره . ونهضت مسرعاً في اثره . طالباً الزيادة من شعره . فلم ادركهُ الا بعد الجهد . وقد تعلق بجبال نجد . فرجعت عنهُ وقد تعجبت منهُ

وحدث رجل آخر من بني كنانة . اهل الصدق والامانة . قال خرجت في بعض الاسفار . اطوي الفيافي والقفار . والسهول والاوعار فانتهى بي التسيار . الى غدير كبير . كانهُ البحر المستدير . فرايت في بعض نواحيهِ جارية كانها بدر التمام . وفي يدها بردة وقصعة مملوَّة من الطعام فتقدمت اليها . وسلمت عليها . فردت عليَّ السلام . بافصح كلام . فبينما انا اتامل فيها . وانظر الى حسن معانيها . اذ اقبلت عانة من الغزلان .

طالبة الماء وذلك المكان . وفي اوائلها رجل عريان . وهو نحيف الجسم
كئيب النفس . قد اسود جلدهُ من لفح البرد وحرّ الشمس . فاومت الجارية
اليهِ . وصاحت عليهِ . وانشدت تقول

وخبرتماني ان تيماء منزلٌ * لليلى اذا ما الصيف القى المراسيا
فهذي شهور الصيف عنا قد انتهت * فما للنوى يرمي بليلى المراميا

فلما سمع كلامها . تقدم اليها حتى صار امامها . فالقت نفسها عليهِ
وقبلّتهُ . واعطتهُ البردة فاخذها وستر عورتهُ . ثم ناولتهُ الطعام فجلس
واكل . وهو يبكي ويتململ . قال الرجل فتعجبت من ذلك غاية العجب
والتفتُّ على الجارية وقلت لها ياحرة العرب . من يكون هذا الغلام .
وماذا جرى عليهِ من الاحكام . لاني ارى صفتهُ غريبة . وحالتهُ رديئة
كئيبة . فقالت هذا والله اخي وشقيقي . ومهجة فوادي ورفيقي . وما كانت
هذه الصفة صفتهُ . ولا هذه الحالة حالتهُ . وانما كان وحيد عصرهِ . ونتيجة
دهره . مشكور السيرة . طاهر السريرة . فصيح الكلام . رفيع المقام . محبوب
من الخاص والعام . قد اشتهر بالكرم . وعلو الهمم . ومكارم الاخلاق
والشيَم . وانتشر بها صيتهُ بين العرب والعجم . فاتفق انهُ عشق جارية في
بعض الايام . فافتتن بها وهام . وتواترت عليهِ الاسقام . من كثرة الحزن
وقلة الاكل والمنام . حتى انحل جسمهُ واعتراهُ الجنون ومضى عليهِ مثل
ذلك سنون . وهو يهيم مع الوحوش في البراري والهضاب . لا يقر لهُ قرار
ولا يلتفت الى خطاب . الاَّ اذا ذكرت لهُ ليلى زالت عنهُ الوحشة . وعاد

عقلهُ اليهِ وذهبت عن قلبهِ الرعشة

قال الرجل ولما انتهت من كلامها التفت عليَّ وقال ايها الرجل المسافر. الى اين انت ساير. والى اي حلة تقصد من حلل العشائر. فقلت لهُ مرادي اسير الى حي بني عامر. اهل المكارم والمفاخر. قال بالله عليك متى وصلت الى تلك المنازل والاعلام اقرِ ليلى مني كثير السلام. واعلمها بحالي. وما شاهدت من احوالي. وبلغها عني هذه الابيات وانشد يقول

حلفت باني لا اخنكِ مودة * واني بكم حتى الممات ضنينُ
تخبرني الاحلام اني اراكمُ * فياليت احلام المنام يقينُ
وان فوادي لا يلين الى هوى * سواكِ وان قالوا بلى سيلينُ

ثم وثب قايمًا على قدميهِ. وطرح البردة عن منكبيهِ. وصاح صيحة قوية. وذهب مع وحوش البرية. فجعلت اختهُ تبكي وتلطم خدودها وتعض من شدة الاسف زنودها. وبكيت ايضًا على صباه. وعلى ما اصابهِ ودهاه. ثم ودعتها وجدّيت في قطع الهضاب. حتى وصلت الى بني الجريش قبل الغياب. فقصدت الى مضرب كبير. وقد حدثتني نفسي انهُ بيت الامير. فلما دنوت منهُ وقفت متفكرًا. وفي هذا الامر متحيرا. واذا خرجت عليَّ عجوز من ذلك البيت. فقالت من انت ومن اين اتيت. فقلت لها انني رجل غريب اتيت هذه القبيلة لاجل ليلى خليلة المجنون. العاشق المفتون. وقد حملني لها سلامًا. وشعرًا وكلامًا. فهل لكِ ان تدليني عليها وترشديني اليها. فلما سمعت كلامي قالت ابشر ياوجه العرب. ببلوغ

الارب . ثم انها غابت وجاءت بجارية بديعة الجمال . كانها الهلال .
مسربلة بثوب من الحرير الاحمر . وفي عنقها عقد من نفيس الجوهر . يدهش
البصر وعيناها تذرف بالدموع . وهي تبكي من فوادٍ موجوع . فتقدمت
اليَّ . وسلمت عليَّ . وقالت لي ايها الصديق . قد بلغني انك لقيت قيساً
بالطريق . فحملك كلاماً تقوله لي فانا هي الى المشوقة عليهِ والمشتاقة
اليهِ . فبالله عليك حدثني بما سمعتهُ منهُ . وبما نقلت من الشعر عنهُ فحدثتها
بحديثهِ وما كان من امرهِ وانشدتها ما سمعت من شعرهِ . فصارت
تبكي وتلطم على خدودها . وتعض من الاسف على زنودها هذا والعجوز
تتطلف بخاطرها وتضمها الى صدرها وتقبلها في وجهها ونحرها وقد احتارت
في امرها ثم التفتت اليَّ بعد حين وتنهدت من قلب حزين . وقالت
ياصاحب الهمة العلية . وكاشف الغمة والبلية . اذا اجتمعت بهِ مرة اخرى
في البرية اهدهِ مني جزيل التحية . وانشدهِ هذه الابيات

لقد اختفى رسمي وقل تصبري * وضاقت بوجهي واسعات المسالكِ
وان فوادي مستهام بحبكم * ولست لكم ما دمت حياً بتاركِ

قال ثم انها اضافتني . وترحبت بي واكرمتني . فاقمت عندها ثلاثة
ايام . في عزازة واكرام . ثم استاذنت وانصرفت من حيث اتيت . وقد تعجبت
مما سمعت ورايت

قال الراوي وكانت ليلى لا تستطعم بطعام . ولا تلتذ في منام بل
تقضي ليلها الطويل . بالبكاء والعويل . وتخاطب نفسها بالملامة . وتعض

على يديها اسفًا وندامة · حتى زال نشاطها وحال · وتمكن منها المرض والبلبال · وفي كل يوم تزداد عليها الآلام · حتى انقطع صوتها عن الكلام · وشربت كاس الحمام · فكفنها اهلها وواروها التراب · واكثروا عليها الانتحاب · ومزقوا ما عليهم من الثياب

قال الراوي فبينما كان قيس يطوف من مكان الى مكان · وهو كثير الهموم والاحزان · اذ مرَّ بهِ فارسان · فنعيا اليهِ ليلى وقالا قد حكم الله عليها بالموت · وهو كاس ليس لاحد منهُ فوت · لم يسلم منهُ ملك شديد ولا جبار عنيد · فعزِّ نفسك الان · وتب الى العزيز الرحمن · واستقبل الاحكام بالرضا · واستسلم لموارد القضا وقوابل عوارض المحن والضير بما قالهُ كعب بن زهير

كل ابن انثى وان طالت سلامتهُ * يومًا على آلة حدباء محمولُ

قال فلما سمع منهما ذلك الخطاب · اظهر الاكتئاب · واستعظم المصاب · واخذتهُ الرعدة والاضطراب وغاب عن الصواب · وعلا زفيرهُ وشهيقهُ · حتى رقَّ لهُ عدوهُ وصديقهُ · وانشد يقول

ايا ناعيَي ليلى بجنب هضبةٍ * امن بعد ليلى لا امرّت قواكما
فلا عشتما الّا حليفيْ مصابةٍ * ولا متما حتى يطول بلاكما
اظنكما لا تعلمان مصيبتي * لقد حيل بين الوصل فيما اراكما

ثم مضى حتى دخل الحي وهو في غمٍ شديد · وحزن ما عليهِ من مزيد بعد ان كان لا يبرعنهُ الامن بعيد · فاتى اهل بيتها فعزاهم وعزُّوهُ · وقال

انبؤني على قبرها فانبأوه · فلما رآه عظم مصابهُ وبلاهُ · والقى نفسهُ عليهِ
من شدة عشقهِ وجواهُ · وضمهُ الى صدرهِ وقد حار في امرهِ · وانشد يقول

يا قبر ليلى لو شهدناك اعولت * عليك نساءٌ من فصيحٍ ومن عجمْ
ويا قبر ليلى ان ليلى غريبة * بارضك لا خالٌ هناك ولا ابن عم
ويا قبر ليلى غابت اليوم امها * وخالتها والحافظون لها الذم

قال وكان يأوي الى قبر ليلى بالليل ويدور بالنهار · وهو يرثيها
بالاشعار · حتى ضعفت قوتهُ · واشتدت بليتهُ

قال الراوي ثم ان رجلاً هلاليًا احب لقاه · والتمتع برؤياه * قال
الهلالي * فخرجت اطلبهُ في البراري والقفار · الى ان لقيتهُ آخر النهار جالسًا
على بعض الاحجار · سابحًا في بحر الافتكار · فسلمت عليهِ سلام الحبيب ·
وجلست منهُ بمكان قريب · فابتهج بي · واستأنس بقربي · ورد عليَّ السلام
بافصح كلام · فقلت لهُ يا صاحب الوجه المليح · والكلام الفصيح · ما
احسن قول قيس بن ذريح · حيث يقول

فوا كبدي وعاداني ردائي * وكان فراق لبنى كالخداعِ
فاصبحت الغداة الوم نفسي * على شيء وليس بمستطاعِ
كمغبونٍ يعض على يديهِ * تبين غبنهُ بعد الوداعِ

فتنهد من فواد متبول · وقال انا اشعر منهُ حيث اقول

اذا نظرت نحوي تكلم طرفها * فجاوبها طرفي ونحن سكوتُ
ولو خالط السم المذاب بريقها * وأسقيت منهُ نهلةً لبريتُ

وانشدني ايضاً

وشغلت عن فهم الحديث سوى * ما كان منك فانهُ شغلي
واديم فيه محدثي نظري * ان قد فهمت وعندكم عقلي

وانشد ايضاً

ليلي وليلى نفى جفني اختلافهما * قد صيراني جميعاً في الهوى مثلا
يجود بالطُول ليلي كلما بخلت * بالطَول ليلى وان جادت بهِ بخلا

وانشد ايضاً

ومغتربٍ بالمرج يبكي لشجوهِ * وقد غاب عنهُ المسعدون عن الحبِ
اذا ما اتاهُ الركب من نحو ارضها * تنفس يستشفي برائحة الركبِ

وانشد ايضاً

احجاج بيت الله في اي هودجٍ * وفي اي خدرٍ من خدوركمُ قلبي
أأبقى اسير الحب في ارض غربةٍ * وحاديكمُ يحدو بقلبيَ في الركبِ

وقال ايضاً

تمتع من شميم عرار نجدٍ * فما بعد العشية من عرارِ
شهورٌ تنقضين وما شعرنا * بانصافٍ لهن ولا سرارِ
فاما ليلهنَّ فخير ليلٍ * واقصر ما يكون من النهارِ

وانشد ايضاً

امن اجل سارٍ في دجى الليل لامعٍ * جفون حذار البين لين المضاجع
علامَ تخاف البين والبين راحةٌ * اذا كان قرب الدار ليس بنافع

اذا لم تزل ممن تحب مروّعاً * بغدرٍ فان الحب شر البضائع

وانشدني ايضاً

يامن شغلت بهجرهِ ووصالهِ * همم المنى ونسيت يوم بعادِ
والله ما التقت الجفون بنظرةٍ * الاَّ وذكرك خاطرٌ بفوادي

وقال ايضاً

عجبت لعروة العذريِّ امسى * احاديثًا اقوم بعد قومٍ
وعروة مات موتًا مستريحًا * وها انا ذا اموت بكل يومٍ

وانشد ايضاً

يقول خليلي والظباء سوارحٌ * اهذا الذي تهوى فقلت ثغورها
واني من الناس الذين صدورهم * اذا استودعوا الاسرار صارت قبورها

وقال ايضاً

رأى المجنون في البيداء كلبًا * فمد لهُ من الاحسان ذيلا
فلاموهُ على ما كان منهُ * وقالوا قد انلت الكلب نيلا
فقلت دعوا الملامة ان عيني * رأتهُ واقفًا في بيت ليلى

قال الاعرابي فلما اتم هذه الابيات . ظهرت لهُ ظبية في بعض الفلوات فتعلق قلبهُ بها . ووثب مسرعًا بطلبها . والتفت اليَّ وقال ايها الرفيق والحبيب الصديق . فما اراك بعد هذا اليوم تراني . فقد كفاني ما دهاني قال الهلالي ثم رجعت الى الحي . وقد اكتوى قلبي عليهِ بكيّ . فانشدتهم ما سمعتهُ من شعره . واخبرتهم بخبره . وما كان من امره . فلما كان من الغد

بكرت اليهِ . وفتشت عليهِ . فلم اقف لهُ على اثر . فاخذني القلق والضجر فانصرفت الى اهلهِ واعلمتهم بالخبر . فقام اخوته ومن يلوذ بهِ . من اهله واقاربهِ . وطلبناه في القفار . والسهول والاوعار . طول ذلك النهار . الى ان هبطنا الى وادٍ كبير الحجار . واذ بهِ ملقًا ميتا بين حجرين . وقد كان خط باصبعهِ عند رأسه هذين البيتين

توسد احجار المهامة والقفر * ومات جريح القلب مندمل الصدرِ
فياليت هذا الحب يعشق مرة * فيعلم ما يلقى المحب من الهجرِ

فعلت اصواتنا بالبكا والنحيب . وحملناه الى الحي فبكاه الغريب والقريب . وكل من سمع باسمهِ من صديق وحبيب . وتاسف ابو ليلى عليهِ وتضرم . وتحرق لموتهِ وتالم . وتبدل وجوده بالعدم . وندم على عدم زواجه بليلى غاية الندم . وقال والله لقد قابلتهُ بالاستخفاف . وعاملتهُ بغير الحق والانصاف ثم تقدم اليهِ وضمهُ الى صدره وبكى عليهِ . وبعد ذلك غسلوه وكفنوه . والى جانب ليلى دفنوه . وكان ذلك في سنة الثمانين من الهجرة المحمدية الموافقة الى سبعماية مسيحية

الحصول عليهم فليطلبهم من مكتبتنا العمومية في بيروت كما وانهُ يوجد في
مكتبتنا من جميع انواع الكتب العربية من دينية وعلمية وتاريخية
وقصص وروايات ادبية ومن الكتب المطبوعة في مطابع سورية ومطابع
القسطنطينية والديار المصرية والاقطار الهندية والبلاد الاوربية ومن
اراد الاطلاع على افرادها فيطلب قائمة مكتبتنا الخصوصية المسماة (بالروضة
البهية في اسماء كتب المكتبة العمومية) والذين في الجهات يرغبون
مشترى بعض كتب من عندنا عليهم ان يطلبوا الروضة البهية ومن ثمَّ
يرسلوا لنا الثمن طوابع بوسطة او قطعة بولصة على اي بوسطة كانت او
على البنك العثماني بقدر مطلوبهم . فنصلهم الارسالية حالاً بكل حفظ
وامان حسب عادة مكتبتنا مع الجميع في كل الجهات كاتبه

ابرهيم صادر
واولاده

